مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثالث عشر - السنة السابعة. المحرم ١٤٤٤هـ/أغسطس ٢٠٢٢م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

موضوعات العدد:

- مجالات تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- من خلال كتابه "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" دراسة تطبيقية تحليلية
  د. بهاء الدين عادل عرفات دنديس
- دلالات الآيات الكونية من خلال تفسير ابن عاشور "التحرير والتنوير" سور المفصل نموذجًا
  أ. عبد الناصر سلامة
- أسلوب التهييج والإلهاب في القرآن الكريم
  د. عبد الرحمن بن سند الرجيلي
- الإنسان من العدم إلى دار الجزاء تأملات في سورة الإنسان
  أ. أحمد بن محمد الشويعي
  دراسة موضوعية
- الملة في القرآن الكريم، دراسة في المفهوم والأنواع
  أ. محمد أكرت بن عبد القادر
  تقرير رسالة علمية بعنوان:
- استشهاد الصحابة رضي الله عنهم بالآيات القرآنية من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام، جمعًا ودراسة
  د. سليمان محمد كمارا
- تقرير عن معهد الإمام الشاطبي للقرآن وعلومه

مجلة تدبر

مجالات تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى-

من خلال كتابه

"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"

دراسة تطبيقية تحليلية

Contemplation Areas of The Holy Quran According to Sheikh Al-Saadi –May Allah rest his soul- Through His Book "Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the Interpretation of the Words of Al-Mannan « Applied Analytical Study

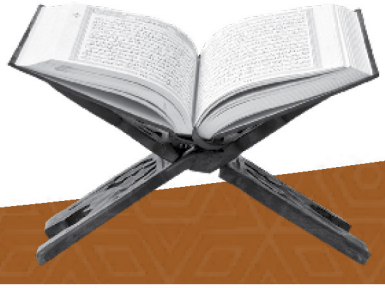

د. بهاء الدين عادل عرفات دنديس
Dr. Bahaa Al-Deen Adel Arafat Dandis

أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن، ومستشار علمي بمجمع القرآن الكريم بالشارقة، وإمام وخطيب مسجد خليل الرحمن بالشارقة
Assistant Professor of Interpretation and sciences of the Qur'an. scientific advisor at the Holy Qur'an Academy in Sharjah and the imam of Khalil Al-Rahman Mosque in Sharjah

قدم للنشر في: ٢٧-١٠-١٤٤٣هـ، الموافق ٢٨-٥-٢٠٢٢
قبل للنشر في: ٢٨-١١-١٤٤٣هـ، الموافق: ٢٧-٦-٢٠٢١
نشر في: المحرم ١٤٤٤هـ، الموافق: أغسطس ٢٠٢٢م
مدة التحكيم مع قبول النشر: (٣٠ يومًا).
متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (٤٦ يومًا).

مكان الميلاد: الخليل - الضفة الغربية - فلسطين

حصل على درجة الماجستير في القرآن الكريم وعلومه، تخصص «القراءات القرآنية» من قسم القراءات بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بأطروحته: دراسة وتحقيق كتاب «مبلغ الأماني فيما ضعفه ابن الجزري من حرز الأماني ووجه التهاني» للإمام منصور الأنصاري متوفى في في حدود : (٩٤٠هـ).

حصل على درجة الدكتوراه في القرآن الكريم وعلومه، تخصص «التفسير وعلوم القرآن» بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بأطروحته: دراسة وتحقيق جزء من تفسير: كنز العرفان وعطية الرحمن في تفسير القرآن لعطية السلمي، ت: (٩٨٣هـ).

بعض النتاج العلمي:

١- الجديد في تفسير القرآن المجيد عند الدكتور محمد صافي المستغانمي، دراسة تحليلية لبرنامج في رحاب سورة، مؤتمر علمي، ٢٠٢١م، الجزائر، جامعة عبد الحميد بن باديس.

٢- مواءمة علم القراءات لمتطلبات الواقع عبر العصور، مؤتمر علمي، ٢٠٢٢م، الإمارات، الجامعة القاسمية.

البريد الشبكي: Email: dr.bahaa.dandis@gmail.com

المُسْتَخْلَص

الحمد لله وكفىٰ، وصلاة وسلامًا علىٰ الحبيب المصطفىٰ، وآله وصحبه ومن اقتفىٰ، وبعد:

يسلط هذا البحث الضوء علىٰ منهجية تدبر القرآن الكريم عند الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فيجلي مفهوم التدبر وفق رؤية الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ويكشف النقاب عن آلية الوصول إلىٰ التدبر الأمثل لآيات القرآن الكريم، ويفصح عن الشروط التي ينبغي أن يتحلَّىٰ بها من يخوض غمار التدبر، ويزيح الستار عن فوائد وثمرات ذلك التدبر، ويعرض نماذج تمثيلية لمجالات التدبر التي تطرق إليها الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، وكانت الدراسة تطبيقية تحليلية علىٰ آيات مختارة من سور القرآن الكريم، وقد خلص البحث إلىٰ جملة من النتائج، من أهمها:

١- قدَّم الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» بقالب تدبُّري قَلَّ نظيره بين كتب التفاسير.

٢- مفهوم التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ شامل لأركان العملية البيانية للقرآن الكريم من: التفسير، والتدبر، والاستنباط، وقد جعل الشيخ التفسيرَ في المرتبة الأولىٰ، يليه التدبر المعبَّر عنه بالتأمل، ثم الاستنباط المعبَّر عنه بالتحديقِ والاستخراجِ والوقوفِ علىٰ الحِكم والأسرار.

٣- كانت ثمرات التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ متعلقة بالجانب الإيماني العقدي، وهو أهم الجوانب وأسماها، وأعلىٰ غايات التدبر وأغلاها.

٤- تنوعت آثار التدبر عند الشيخ السعدي بين الإثراء العلمي (تأملات ابتكارية، استنباطات، لطائف المعاني،...)، والانفعال الوجداني القلبي (تعجب، تأثر،...)، والسلوك العملي (الدعاء، الاستعاذة،...).

٥- تعددت مجالات التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وتراوحت بين المجالات الأسلوبية والمجالات الموضوعية.

الكلمات المفتاحية: مجالات، التدبر، السعدي، تيسير الكريم الرحمن.

Contemplation Areas of The Holy Quran According to Sheikh Al-Saadi –May Allah rest his soul- Through His Book "Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the Interpretation of the Words of Al-Mannan "

Applied Analytical Study

Conducted by:

Dr. Bahaa Al-Deen Adel Arafat Dandis

Assistant Professor of Interpretation and sciences of the Qur'an.

Current job: scientific advisor at the Holy Qur'an Academy in Sharjah and the imam of Khalil Al-Rahman Mosque in Sharjah

Email: dr.bahaa.dandis@gmail.com

Abstract

Praise be to Allah, and blessings and peace be upon the beloved Mustafa, his family, companions and those who followed,

This research sheds light on the methodology of Contemplation Areas of The Holy Quran by to Sheikh Saadi -May Allah rest his soul-. It clarifies the concept of contemplation according to the vision of the Sheikh and reveals the mechanism of reaching the optimal contemplation of the verses of the Holy Qur'an. It also discloses the conditions that should be possessed by those who engage in contemplation and unveils the benefits and fruits of that contemplation. Moreover, it presents representative examples of the

areas of contemplation that Sheikh Abd al-Rahman al-Saadi – may his soul rest in peace - touched on in his book "Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir al-Kalam al-Mannan. "The applied analytical study was conducted on selected verses from the Holy Qur'an. The research concluded a number of results, the most important of which are:

1- Sheikh Al-Saadi presented his interpretation in a contemplative and meditative form which distinguishes it from other interpretation books.

2- The concept of contemplation according to Sheikh Al-Saadi includes the pillars of the rhetorical process of the Holy Qur'an: interpretation, contemplation, and deduction. The Sheikh put interpretation in the first place, followed by contemplation expressed by meditation, and then deduction expressed by staring, extracting, and revealing wisdom and secrets.

3- The fruits of contemplation of Sheikh Al-Saadi were related to the creedal aspect of faith; which is the most important and supreme aspect and represents the ultimate and greatest goal of contemplation.

4- The effects of contemplation of Sheikh Al-Saadi varied between scientific enrichment (innovative reflections, deductions, subtle meaning,...), sentimental and heartfelt emotions (amazement, affection,...), and practical behavior (praying, seeking refuge,...).

5- There were many areas of contemplation according to Sheikh Al-Saadi, and they ranged between stylistic and thematic areas.

Keywords: areas, contemplation, Saadi, Tayseer Al-Karim Al-Rahman.

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآنَ الكريمَ حبلُ الله المتين، ونورُه المبين، هو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، والعروة الوثقىٰ، والمعتصَم الأقوىٰ، هو النور والشفاء، والهدىٰ والضياء، فتح الله به آذانًا صمًا، وأعينًا عميًا، وقلوبًا غُلفًا، وهدىٰ به من الضلالة، وبصَّر به من الجهالة، وجعله إمامًا للمتقين، وحجة علىٰ الناس أجمعين، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الأَلسِنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلَق علىٰ كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه.

ولذا كان الإقبال علىٰ هذا الكتاب العظيم، تلاوة وترتيلًا، تعلمًا وتعليمًا، تأملًا وتدبرًا، من أجلِّ الأعمال، وأرفع الخصال، وأسنىٰ المطالب، وأعلىٰ المراتب؛ التي تستحق أن تعمر فيها الأعمار، وتعمل فيها الأبصار.

وتدبر القرآن الكريم غاية عظيمة من غايات إنزاله قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، فحريٌّ بنا أن نقف عند آيات الكتاب المجيد، نتفيأ ظلالها، ونجول في أرجائها، ونتأملها وندقق فيها؛ لنصل إلىٰ هداياتها ونترجم رسائلها سلوكًا عمليًّا مقتفين به هديَ الكتاب والسنة؛ لنفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

هذا، ولقد كنت منذ صغري شغوفًا بكتب الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، أطالعها وأدقق فيها، وأحفظ عباراتها، وأقتبس من دررها، وكان لي مع كتابه النفيس «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»[(١)] صداقة طويلة، فقد لازمته سنين عديدة، ودونت عليه تعليقات فريدة، نقلًا عن مشايخنا الأجلاء وعلمائنا النبلاء، وبينما كنت أقرأ في هذا السِفر الجليل، استرعت انتباهي تلك المنهجية البديعة التي بنىٰ عليها الإمام السعدي تفسيره، فهو ليس مجرد تجلية لمعنىٰ الآية، أو توضيح لغوامض الكلمات فحسب، بل يمكن أن يقال: هو تفسير بقالب تدبري، فعزمت -مستعينًا بالله ﷻ- علىٰ بيان منهجية الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تدبر القرآن الكريم من خلال إيضاح مفهوم التدبر عنده، وتسليط الضوء علىٰ مجالات التدبر التي تدور عليها خواطره وتأملاته، وارتأيت أن يكون ذلك من خلال نماذج تطبيقية تحليلية علىٰ آيات مختارة من سور القرآن الكريم، ومن الله أستمد العون والسداد؛ فهو سبحانه الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

١- كونه يتعلق بكلام الله ﷻ الذي هو أشرف العلوم وأعلاها قدرًا.

٢- كونه دراسة تحليلية تطبيقية علىٰ سِفر جليل يتمتع بقيمة علمية كبيرة، ومكانة عالية بين كتب التفسير.

(١) لم أتعرض لبيان ترجمة المؤلف أو التعريف بالكتاب ومنهج مؤلفه فيه؛ نظرًا لشهرة المؤلف والكتاب وكثرة المؤلفات حولهما، وتجنبًا للتطويل، ومحاولة للتركيز علىٰ موضوع البحث الرئيس.

٣- كونه دراسة لمنهج مفسر حاذق وشيخ بارع؛ مشهود له بالإمامة في التفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم الشرعية.

٤- كونه يتعلق بعلم تدبر القرآن الكريم، الذي يعد أحد الغايات العظمىٰ من إنزال القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

تتمثل أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

١- الرغبة في خدمة هذا التفسير الجليل «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

٢- الرغبة في الوقوف علىٰ المعالم المنهجية التدبرية التي سلكها الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بناء تفسيره، وإبرازها وتوضيحها.

٣- رِفْدُ المكتبة القرآنية ببحث ينير الطريق للمهتمين بالدراسات القرآنية، ويساهم في فتح آفاق بحثية جديدة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في الفهارس ومصادر المعلومات، ومواقع الشبكة العنكبوتية، وبعد سؤال المتخصصين في الدراسات القرآنية؛ لم أعثر علىٰ أي دراسة تحليلية تطبيقية حول طبيعة البحث المذكور وشاكلته، بَيْدَ أن هناك دراسات حول منهج الإمام السعدي في التفسير، وفي التدبر بشكل عام، ومن أبرزها:

١- عبد الرحمن السعدي وجهوده في تدبر القرآن الكريم، للباحث: زكريا بن عبد الرحمن بن محمد بافضل، رسالة ماجستير بكلية العلوم الإسلامية

بجامعة المدينة العالمية بماليزيا، ٢٠١٧م، ولعل هذه الرسالة تطرقت -بشيء من الاقتضاب- إلىٰ نماذج من مجالات التدبر تحت عنوان: «الفصل الثالث: تطبيقات الشيخ عبد الرحمن السعدي في تدبر القرآن الكريم»، وثمة اختلاف بين هذا البحث وبين الفصل المذكور يتمحور حول طريقة تناول الموضوع وكيفية تعهده بالتحليل والتمثيل، وآلية تقسيم الأمثلة وتنويعها.

٢- تدبرات السعدي، للشيخ عبد الرحمن بن محمد السبهان، وقد جمع فيه أكثر من (١٠٠٠) فائدة من تفسير السعدي، طبع: ٢٠١٧م.

٣- منهج الشيخ السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»؛ للباحث: ناصر العبد سليم المرنخ، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بغزة،٢٠٠٢م.

٤- ترجيحات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في التفسير (جمعًا ودراسة)؛ للباحث: عبد الله بن أحمد الزقيلي، رسالة ماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ.

٥- استنباطات الشيخ عبد الرحمن السعدي من القرآن الكريم عرض ودراسة؛ للباحث: سيف بن منصر بن علي الحارثي، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع: ٢٠١٦م.

٦- قواعد الترجيح بالنص القرآني عند الشيخ عبد الرحمن السعدي من خلال كتابيّ: تيسير الكريم الرحمن والقواعد الحسان؛ للباحث: عبد الباسط بابا عربي، رسالة ماجستير بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي بالجزائر، ٢٠١٥م.

خطة البحث:

يتكون البحث الماثل من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وفهارس، وبيانها على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع في إخراجه.

التمهيد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

المطلب الثاني: العلاقة بين مفهوم التدبر والمصطلحات القريبة منه كمصطلح: (التأويل، والتفسير، والاستنباط، والتأمل، والتفكر، والتعقل) عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

المطلب الثالث: كيفية تدبر القرآن الكريم وشروطه؛ كما قررها الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

المطلب الرابع: ثمرات التدبر وفوائده؛ كما يراها الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

الفصل الأول: مجالات التدبر الأسلوبية.

المبحث الأول: أساليب بناء ألفاظ الآيات القرآنية.

المطلب الأول: دقة اختيار الألفاظ.

المطلب الثاني: قوة دلالة اللفظ على المعنى.

المطلب الثالث: الأوزان الصرفية.

المبحث الثاني: أساليب بناء تراكيب الآيات القرآنية.

المطلب الأول: الصياغة.

المطلب الثاني: معاني حروف الجر.

المطلب الثالث: الجمل المعترضة.

المبحث الثالث: أساليب بيان الآيات القرآنية.

المطلب الأول: أسلوب النهي.

المطلب الثاني: أسلوب الاحتراز.

المطلب الثالث: أسلوب التنكير.

المطلب الرابع: أسلوب الحذف.

المطلب الخامس: أسلوب الاكتفاء.

المطلب السادس: أسلوب التكرار.

المطلب السابع: أسلوب البناء للمفعول.

المطلب الثامن: أسلوب الاستفهام.

المطلب التاسع: أسلوب الالتفات.

المطلب العاشر: أسلوب الإغراء.

المطلب الحادي عشر: أسلوب التعريف والتنكير.

المطلب الثاني عشر: أسلوب استعمال الظاهر في مقام المضمر.

المبحث الرابع: أساليب القرآن في رد الشبهات وتفنيد مزاعم المشركين.

المطلب الأول: أسلوب التسلسل المنطقي.

المطلب الثاني: أسلوب الحجة المنطقية العقلية.

المطلب الثالث: أسلوب التقسيم المنطقي.

المبحث الخامس: المضامين التربوية لأساليب الآيات القرآنية.

المطلب الأول: النموذج الأول: مراعاة الأسلوب المناسب لحال المدعو.

المطلب الثاني: النموذج الثاني: التأني في طلب العلم.

المطلب الثالث: النموذج الثالث: التأدب مع الضيفان.

الفصل الثاني: مجالات التدبر الموضوعية.

المبحث الأول: أقسام القرآن.

المبحث الثاني: الخطاب القرآني.

المبحث الثالث: المتشابه اللفظي.

المبحث الرابع: مشاهد القيامة.

المبحث الخامس: الأدعية القرآنية.

المبحث السادس: أسماء الله الحسنىٰ.

المطلب الأول: نماذج من تدبرات الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لأسماء الله الحسنىٰ.

المطلب الثاني: اختلاف تدبر الاسم الحسن لاختلاف سياق الآية الوارد فيها.

المطلب الثالث: احتفاء الشيخ «عبد الرحمن»باسم الله «الرحمن».

المبحث السادس: الأحكام

المطلب الأول: الأحكام الفقهية

المطلب الثاني: الأحكام العقدية.

المبحث السابع: أمثال القرآن.

المبحث الثامن: القصة القرآنية.

المبحث التاسع: مشكل القرآن.

المبحث العاشر: المناسبات القرآنية.

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للآيات.

المطلب الثاني: الآيات الكونية ودلائل قدرة الله ﷻ.

المطلب الثالث: السياق.

المطلب الرابع: التقديم والتأخير.

المطلب الخامس: العطف.

المطلب السادس: التسلسل المنطقي في عرض المعلومة.

المطلب السابع: الوحدة الموضوعية للسورة.

المطلب الثامن: الاقتران.

المبحث الحادي عشر: دلالات الآيات.

المطلب الأول: نموذج استنباط بدلالة السياق.

المطلب الثاني: نموذج استنباط بدلالة الاقتران.

المطلب الثالث: نموذج استنباط بدلالة العطف.

المبحث الثاني عشر: الآيات ذات الأوصاف والمسميات.

المطلب الأول: النموذج الأول: أعظم وعيد ورد في الذنوب.

المطلب الثاني: النموذج الثاني: أصل في محاسبة العبد نفسه.

ثم **الخاتمة**، وفيها:

١- أهم النتائج.

٢- أهم التوصيات.

ثم **الفهارس**: وتشمل:

١- ثبت المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

يتمثل المنهج المتبع في إخراج البحث في الآتي:

١- اتبعت في صياغة هذا البحث المنهج الاستقرائي الجمعي، وكانت الدراسة دراسة تطبيقية تحليلية.

٢- عرضت نماذج مختارة لنصوص من تفسير تيسير الكريم الرحمن؛ مما يظهر فيها مجالات التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

٣- راعيت في اختيار النماذج أن تكون متنوعة، مختصرة، دالة على الفكرة المراد بيانها ببساطة ووضوح.

٤- لم أقصد استيعاب جميع مجالات التدبر، وإنما أردت إظهار نماذج تطبيقية لها.

٥- كتبت الآيات بالرسم العثماني وفق رواية حفص عن عاصم، حسب طبعة مجمع الملك فهد رحمه الله تعالى.

٦- وثّقت الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر الآية ورقمها والسورة التي فيها.

٧- اعتمدت على نسخة «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، الصادرة عن مؤسسة الرسالة، في طبعتها الأولى، عام: ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، بتحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

٨- اكتفيت بوضع الإشارة المرجعية في إحالة كلام الشيخ لتفسيره عند الموضع الأخير من تفسيره للآية أو الآيات موضع الدراسة.

٩- اكتفيت بإيراد النص التفسيري من كتاب الشيخ السعدي رحمه الله تعالى، دون التعرض لتخريج الأحاديث أو الآثار أو الشواهد الشعرية أو القراءات القرآنية أو التراجم للأعلام أو بيان غريب إلا ما تقتضيه ضرورة البحث؛ فمحل ذلك نصوص الكتاب المحقق.

١٠- ذيلت البحث بفهارس للمصادر والمراجع وللموضوعات.

التمهيد

يشتمل التمهيد على أربعة مطالب رئيسة وهي:

◆ **المطلب الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.**

يرى الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن تدبر القرآن الكريم مُنصَبٌّ نحو: «**التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، واستخراج ما فيه من العلوم، والوقوف على أسراره وحِكمه**»(١).

فالمتأمل لمفهوم التدبر عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يجده شاملًا لأركان العملية البيانية للقرآن الكريم؛ من: التفسير، والتدبر، والاستنباط، وقد جعل التفسيرَ في المرتبة الأولى، يليه التدبر المعبَّر عنه بالتأمل، ثم الاستنباط المعبَّر عنه بالتحديقِ والاستخراجِ والوقوفِ على الحِكم والأسرار.

فأما التفسير فإنه من لازم التأمل في المعاني، ولا يُعنى بالتفسير -هنا- التفسير بكافة أطيافه وألوانه، بل بحده الأدنى من إيضاح دلالة الآية ومضمونها والمعبَّر عنه بالمعنى الإجمالي، وهو ما سار عليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره، فلا يمكن تأمل الآية دون بيان معناها، ثم بعد التفسير والتأمل يأتي التحديق، ومتى ما كدَّت القريحة وحدقت الأفكار في مبادئ الآيات وعواقبها؛ خلصت إلى درر من الاستنباطات والدلالات النفيسة المنبئة بأن هذا الكتاب لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى أسراره، ولا يدرك قراره.

(١) بتصرف من تيسير الكريم الرحمن (ص:١٨٩-١٩٠، ٧١٢).

ولذلك، فإن المدقق في عبارات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» يجدها محلاة بالتدبر في أغلبها، وكأني بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لما أراد أن يقرب في كتابه التفسير لم يجد أنفع من التدبرات.

◆ المطلب الثاني: العلاقة بين مفهوم التدبر والمصطلحات القريبة منه؛ كمصطلح: (التأويل، والتفسير، والاستنباط، والتأمل، والتفكر، والتعقل) عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

يظهر لي- والعلم عند الله تعالىٰ- أنه لا فروق جوهرية في الدلالة بين التأويل والتفسير والاستنباط والتأمل والتفكر والتعقل وغيرها من المصطلحات عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فهي وإن كان بينها تباين وافتراق إلا أنه يستعملها للدلالة علىٰ مسمَّىٰ أو مقصد واحد، فهو يراها كلها متقاربة تؤدي غرضًا واحدًا هو الأثر والانتفاع، فتشترك كلها في النتيجة المرجوة منها.

فأما العلاقة بين التدبر والتأويل؛ فتظهر جلية حين نراه يجعل أحد معاني التأويل الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] منطبقًا تمامًا علىٰ المعنىٰ اللغوي للتدبر فيقول: «**إن أريد بالتأويل معرفة عاقبة الأمور، وما تنتهي وتؤول إليه، تعين الوقوف علىٰ ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ حيث هو تعالىٰ المتفرد بالتأويل بهذا المعنىٰ**»[(١)]، وبنحو ذلك التأويل نراه يفسر التأويل الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] فيقول: «**أي: سأخبرك بما أنكرت عليَّ، وأنبئك بما لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر**»[(٢)]؛ ومن المتقرر أن معرفة عاقبة الأمور وما تنتهي وتؤول إليه هي غاية التدبر، وعليه فهما إذن بمعنىٰ واحد عنده.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٨٢).

وأما العلاقة بين التدبر والتفسير والاستنباط؛ فقد كشف المحور المتقدم: «مفهوم تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ» أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يعُدُّ التفسير المرحلة الأولىٰ الابتدائية من مراحل التدبر؛ فهو داخل فيه ولبنة في تكوينه، ويعُدُّ الاستنباط المرحلة النهائية التي يصل إليها المتدبر؛ لاستخراج ما يقف عليه من الحكم والفوائد.

وأما العلاقة بين التدبر والتأمل والتفكر والتعقل؛ فبينها تداخل واضح واشتراك في الدلالة علىٰ التدبر عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ويتبدىٰ ذلك جليًّا عند تفسيره للآيات الواردة في الحث علىٰ التدبر، فنراه -مثلًا- عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] يقول: «**يأمر تعالىٰ بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه**»[(١)]، وكذلك عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] يقول: «**أي: فهلَّا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل**»[(٢)]، وكذلك عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] يقول: «**فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تُدرَك بركته وخيره**»[(٣)]. فجعل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ التدبر بمعنىٰ التأمل.

وأما التفكر فكما في تفسيره قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] إذ يقول: «**أخبر تعالىٰ أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده في كتابه**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٨٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٨٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧١٢).

الحلال والحرام، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكر فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبين له طرق الخير والشر، ويحثه علىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق، فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن والتدبر لمعانيه»[(١)]، وعند إنعام النظر في هذه العبارات نجده عطف التدبر علىٰ التفكر؛ ليدلل بهما علىٰ غرض واحد وهو ما يشتركان فيه من الأثر المرجو منهما، حيث جعل آثار التفكر هي عينها آثار التدبر، حيث ذكر أن التفكر مفتاح لخزائن العلم، وأنه بيان لطريق الخير والشر، وفيه دعوة لمكارم الأخلاق وزجر عن مساوئها، وهو بصنيعه هذا يؤكد علىٰ اتحادهما الدلالي في ذهنه، ويقوي ذلك تفسيره للتدبر بالتفكر في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] حيث قال: «**أي: أفلا يتفكرون في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه!**»[(٢)].

وأما التعقل فكما في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤] إذ يقول: «**أخبر تعالىٰ أن في هذه المخلوقات العظيمة آيات، أي: أدلة علىٰ وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته**[(٣)]**، ولكنها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له، فعلىٰ حسب ما منَّ الله علىٰ عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٥٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٥٤).

(٣) هذا نابع مما قرره في كتابه: القواعد الحسان لتفسير القرآن؛ «القاعدة السابعة والخمسون: في كيفية الاستدلال بخلق السماوات والأرض وما فيهما علىٰ التوحيد والمطالب العالية». (ص:١٤١).

وفكره وتدبُّره»، فجعل التعقل بمعنىٰ التدبر؛ حيث رتب عليه نفس مقصد التدبر ونتيجته من المعرفة والانتفاع والانقياد.

◆ المطلب الثالث: كيفية تدبر القرآن الكريم وشروطه؛ كما قررها الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

لا شك أن لتدبر القرآن الكريم قواعد وأسس وشروط ينبغي لمن أراد أن يخوض غمار التدبر أن يلم بها ويحيط بما فيها، وقد كشف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن كيفية التدبر وشروطه بمثال عملي تطبيقي، فنراه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩]؛ يقول: «**تضمَّن ما شرحه الله وفصَّله من دعائهم بعد قوله: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ﴾** [غافر: ٧] **التنبيه اللطيف علىٰ كيفية تدبر كتابه، وأن لا يكون المتدبر مقتصرًا علىٰ مجرد معنىٰ اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنىٰ اللفظ، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا علىٰ وجهه، نظر بعقله إلىٰ ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه،.....، وقد يخفىٰ في بعض الآيات مأخذه علىٰ غير المتأمل صحيح الفكرة، ونسأله تعالىٰ أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببًا لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه، والتوسل بإحسانه، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل الآنات، وفي جميع اللحظات، ونسأله من فضله، أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوِّق لوصول رحمته،**

إنه الكريم الوهاب، الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها»[1].

فقد تضمنت هذه الأسطر القليلة جملة من الفوائد الغزيرة والمعلومات الدقيقة منها:

أولًا: أن دعاء الملائكة بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧] والآيات بعدها، هو تدبر عملي لما استشعروه من سعة رحمة الله وعلمه بكل شيء، ففاضت ألسنتهم بالدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرحمة والإكرام الشامل في دار النعيم المقيم.

ثانيًا: أن المسلك السليم للوصول إلىٰ التدبر الصحيح لا يقتصر علىٰ مجرد معرفة معنىٰ اللفظ بمفرده، بل يتعدَّاه إلىٰ تأمل دلالاته ولوازمها والأحكام المتصلة بها.

ثالثًا: أنه يشترط لمن أراد أن يتدبر كلام الله ﷻ شروط منها:

- أن يكون ذا عقيدة سليمة، متمتعًا بملكة تأملية وفكر ثاقب، ليكون تأمله علىٰ بصيرة ودون اتباع لهوىٰ أو تعصب لمذهب أو رأي، ويصدر تدبره عن أساس راسخ متين.

- أن يأخذ بطرف من العلوم المتصلة بتفسير القرآن الكريم؛ ليكون تدبره مرتكزًا علىٰ مفاهيم سليمة وقواعد قويمة.

- أن يكثر من التضرع والالتجاء إلىٰ الله ﷻ بسؤاله أن يفتح عليه من بركات الفهم وأنوار العلم بكتابه الكريم.

- أن يفرغ قلبه من الشواغل والملهيات، والصوارف والمعيقات.

(١) تيسر الكريم الرحمن (ص:٧٣٢).

- أن يتجنب المعاصي والذنوب وأمراض القلوب وكل ما يعيق الفهم وينور العقل.

- أن يغوص في أعماق النصوص، ويستكنهها ويتأمل فيها.

◆ المطلب الرابع: ثمرات التدبر وفوائده كما يراها الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

أودع الله كتابه الكريم من الكنوز العظيمة والمكنونات البديعة ما تستحق أن تفنىٰ في التنقيب عنها الأعمار، وتدبر القرآن الكريم أحد السبل الموصلة إلىٰ تلك العطايا، فما هي الجوائز والثمرات التي يحصل عليها ويجنيها من يعيش مع كتاب الله ويتدبر معانيه ويتأمل فيه؟ لقد استطاع الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن ينظم جملة من فوائد التدبر، من أبرزها:

١-أن التدبر مفتاح العلوم والمعارف، به يستنتج كل خير، وبه تستخرج منه جميع العلوم.

٢- أنه وسيلة لازدياد الإيمان في القلب وترسيخ شجرته فيه.

٣- أنه السبيل الموصل إلىٰ معرفة الرب المعبود، وما له من صفات الكمال، وما يُنزَّه عنه من سمات النقص[(١)].

٤- أنه الدليل إلىٰ الطريق الموصلة إلىٰ الله ﷻ، فهو يبين تلك الطريق ويوضح صفة أهلها، ومآلهم ومرجعهم، كما ويحذر من العدو الحقيقي وأساليبه

(١) قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «ومن تدبر كلامه عرف الرب ﷻ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله علىٰ المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب فحذر مما حذره مولاه، ورغب فيما رغب فيه». أخلاق حملة القرآن، للآجري (ص:٤٠).

المؤدية إلىٰ الوقوع في المعاصي المفضية إلىٰ حلول أليم العقاب وشديد العذاب.

٥-أنه يرقىٰ بالعبد حتىٰ يبلغ به إلىٰ درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله ﷻ، فهو حين يرىٰ آيات القرآن يصدق بعضها بعضًا، ويوافق بعضها بعضًا -فترىٰ الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضًا- فبذلك يعلم كمال القرآن، وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور[(١)].

٦- أن يبين للعبد طرق الخير والشر، ويحثه علىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق[(٢)].

هذه بعض فوائد التدبر التي أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره، ونجد أنه لاحظ الأصل الرئيس والهدف المباشر من إنزال القرآن الكريم وهو الدعوة إلىٰ توحيد الله ﷻ وتقرير العقيدة السليمة في نفوس البشرية، وبيان نعيم الموحدين وعقوبة الكافرين، فكانت ثمرات التدبر عنده متعلقة بالجانب الإيماني العقدي، وهو أهم الجوانب وأسماها وأعلىٰ غايات التدبر وأغلاها.

وفي ذلك يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «**هذا، وإن نظرت إلىٰ الدليل العظيم، والأمر الكبير -وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلىٰ العلم بالتوحيد، ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره**»[(٣)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٩٠).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٥٣).
(٣) تيسر الكريم الرحمن (ص:٧٨٧).

والشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بصنيعه هذا يقتفي أثر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إذ يقول في كلامه النفيس: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلىٰ نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر علىٰ معاني آياته،..... وبالجملة تُعرِّفُه الربَّ المدعوَّ إليه، وطريقَ الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتُعرِّفُه في مقابل ذلك ثلاثة أخرىٰ: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه،.....، وفي تأمل القرآن وتدبره وتفهمه، أضعافُ أضعافِ ما ذكرنا من الحكم والفوائد، وبالجملة فهو أعظم الكنوز، طَلْسَمُهُ الغَوْصُ بالفكر إلىٰ قرار معانيه»[1].

(١) مدارج السالكين؛ لابن القيم (١/ ٤٤٩-٤٥١).

الفصل الأول:

مجالات التدبر الأسلوبية.

المبحث الأول:

أساليب بناء ألفاظ الآيات القرآنية.

القرآن الكريم مستودع البلاغة والفصاحة والبيان، حيث جاءت آياته بأبلغ أسلوب وأفصح لفظ وأوجز عبارة، والناظر فيها يجد الدقة في انتقاء الألفاظ، والبراعة في سبك العبارات، والجمال في تراكيب الجمل وصياغتها، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ضمَّن تفسيره طائفة من التدبرات المتصلة بهذا الجانب، وهاك مطالب هذا المبحث تُجلِّي لك ما ذكرت:

◆ المطلب الأول: دقة اختيار الألفاظ.

يعتني الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تدبره لآيات القرآن الكريم بإبراز دقة القرآن الكريم في اختيار ألفاظ جمل الآيات، ويهتم بالكشف عن أسرار ذلك، فمثلًا في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] نجده يلاحظ المعنىٰ الدقيق للفظ (أقام)، ويسقطه علىٰ لفظ الصلاة، فيجعلها بناءً متكامل الأركان، ويربط بينه وبين ماهية الصلاة بما تشتمل عليها من أعمال ظاهرة وباطنة، ونراه يسمي الخشوع فيها والتدبر والتأمل في كل قول وفعل فيها: روح الصلاة، ثم يستشعر الأثر المترتب عن الإقامة المثلىٰ للصلاة التي تؤتي أكلها في المصلي، ففي الدينا تكون حصنًا له

من ارتكاب المنكرات، وفي الآخرة دليلًا له إلىٰ جنات القربات، حيث يقول: «**قال: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾** [البقرة: ٣]، **لم يقل: يفعلون الصلاة، أو يأتون بالصلاة، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة، فإقامة الصلاة، إقامتها ظاهرًا؛ بإتمام أركانها وواجباتها وشروطها، وإقامتها باطنًا؛ بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها، فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾** [العنكبوت: ٤٥]، **وهي التي يترتب عليها الثواب، فلا ثواب للإنسان من صلاته، إلا ما عقل منها**»[(١)].

وكذلك ملاحظته استعمال القرآن لفظ (الأهواء) بدل (الدين) في الحديث عن معتقدات أهل الكتاب في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]؛ فيقول: «**إنما قال: ﴿أَهْوَآءَهُم﴾، ولم يقل: (دينهم)؛ لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتىٰ هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين، اتبع الهوىٰ ولا محالة، قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾** [الجاثية: ٢٣]»[(٢)].

◆ المطلب الثاني: قوة دلالة اللفظ على المعنى.

يهتم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بدلالات الألفاظ، فيتعهدها بالتأمل والتحليل، ويلحظ قوتها في الدلالة علىٰ المعنىٰ المراد وملائمتها للسياق، فمن ذلك ملاحظته استعمال لفظ المكر في التعبير علىٰ ما كان من قول النسوة في حادثة امرأة العزيز ويوسف حيث قلن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٢)، وتفسير الفاتحة والبقرة؛ لابن عثيمين (٢/ ٣٣).

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠]، **يعني: أن الخبر اشتهر وشاع في البلد، وتحدث به النسوة فجعلن يلُمْنَها، ويقُلْنَ:** ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾، **أي: هذا أمر مستقبح، هي امرأة كبيرة القدر، وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها عن نفسه،** ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ **حيث وُجِدَت منها هذه الحالة التي لا تنبغي منها، وهي حالة تحطُّ قدرها وتضعه عند الناس، وكان هذا القول منهن مكرًا، ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلىٰ رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز؛ لتحنق امرأة العزيز، وتريهن إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكرًا، فقال:** ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾ [يوسف: ٣١]»[(١)].

ومن ذلك ملاحظته دلالة لفظ (الرب)، وما يحمله من معانٍ في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦]، فلاحظ أولًا إضافة الآيات إلىٰ الرب، وتأمل دلالتها فقال: «**وفي إضافة الآيات إلىٰ ربهم، دليل علىٰ كمالها ووضوحها، لأنه ما أَبيَن من آية من آيات الله، ولا أعظم بيانًا**»، ثم لاحظ وجه المناسبة والعلاقة بين لفظ الربوبية والآيات القرآنية؛ فقال: «**وإن من جملة تربية الله لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها علىٰ ما ينفعهم، في دينهم ودنياهم**»[(٢)].

ومن ذلك ملاحظته للازم الفعل ﴿يُضِلُّ﴾، وما يلزمه من أن يكون صاحبه ضالًّا في نفسه، فالفعل المتعدي ﴿يُضِلُّ﴾ لزم منه الفعل اللازم (يَضِلُّ) -وهذا

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٩٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٩٦)، والقواعد الحسان: القاعدة الحادية والثلاثون: ربوبية الله في القرآن علىٰ نوعين: عامة وخاصة. (ص:٩٠).

التأمل علىٰ إحدىٰ القراءتين الواردة في الآية[1] - فقال عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الزمر: ٨] «**أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتىٰ بالملزوم ليدل علىٰ اللازم**»[2].

◆ المطلب الثالث: الأوزان الصرفية.

إن الناظر في تفسير الشيخ السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» يجده لا يتطرق إلىٰ المباحث اللغوية وما فيها من نحو وصرف ومعاجم وغيرها، إلا أنه يوظف هذه المباحث في تقوية المعاني وإثرائها بطريقة غير مباشرة، فمن ذلك ملاحظته الدلالة المعنوية للأوزان الصرفية، وتدبر ما تحمله في طياتها من معان، فنراه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، يلاحظ دلالة الوزن الصرفي فاعل في لفظ ﴿عَٰبِدُونَ﴾، فيقول: «**قال: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾، فوصفهم باسم الفاعل الدال علىٰ الثبوت والاستقرار؛ ليدل علىٰ اتصافهم بذلك، وكونه صار صبغة لهم ملازمًا**»[3].

◆ ◆ ◆

(١) في الآية قراءتان: الأولىٰ بفتح الياء وكسر الضاد: (يَضِل) فعل لازم، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ورويس عن يعقوب، والثانية: بضم الياء وكسر الضاد (يُضِل) فعل متعدٍّ، قراءة الباقين (الجمهور). انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٢٩٩)، والدر المصون؛ للسمين الحلبي (٨/ ٢٦٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٢٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٦)، انظر: إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم؛ لأبي السعود (١/ ١٦٨)، ودليل البلاغة القرآنية؛ للدبل (ص:١٩٢).

المبحث الثاني:
أساليب بناء تراكيب الآيات القرآنية[1]

المطلب الأول: الصياغة.

آيات القرآن الكريم، جاءت في أعظم الأساليب وأعلاها، وأرقىٰ العبارات وأحلاها، بأجود نظام، وأحكم كلام، لا يتطرق لصياغتها خلل، ولا يشوبها دخل، فيها سبك وتلاؤم، واتساق وتناغم، وللشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وقفات مع صياغة الآيات، فيتأمل لَبنات بنائها وأسلوب صياغتها، فقد لاحظ أن اختيار القرآن للنهي عن الكفر عبارة: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١] أبلغ في النهي وأعمق في الدلالة من: (ولا تكفروا)، فقال: «**قوله**: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ **أبلغ من قوله: (ولا تكفروا به)**»، ثم راح يعرض ما استشفه من بلاغة، ويعلل ما توصل إليه فكره من تدبر فقال: «**لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلىٰ الكفر به، عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدىٰ بهم من بعدهم**»[2].

ولاحظ أن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٥]؛ أبلغ من: (وَلا تَتَّبِعْ)، وعلل ذلك بقوله: «**لأن ذلك يتضمن أنه** ﷺ **اتصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع ذلك منه**»[3].

---

(١) القواعد الحسان: القاعدة الواحدة السبعون: في اشتمال كثير من ألفاظ القرآن علىٰ جوامع المعاني. (ص: ١٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٠)، وانظر: جامع البيان؛ للطبري (١/ ٦٠١-٦٠٢)، والجواب الكافي؛ لابن القيم (ص:١٤٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٢)، وانظر: تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (١/ ٤٦١)، والتحرير

كما أنه يلاحظ احتراز القرآن ودقته في انتقاء العبارات والألفاظ وحروف المعاني، فنراه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١] يقول: «**قوله: ﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ولم يقل: أن تقصروا الصلاة؛ فيه فائدتان: إحداهما: أنه لو قال: (أن تقصروا الصلاة)؛ لكان القصر غير منضبط بحدٍّ من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة واحدة لأجزأ، فإتيانه بقوله: ﴿مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ ليدل ذلك علىٰ أن القصر محدود مضبوط، مرجوع فيه إلىٰ ما تقرر من فعل النبي ﷺ وأصحابه. الثانية: أن ﴿مِنَ﴾ تفيد التبعيض؛ ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية من أربع إلىٰ ركعتين**»[(١)].

◆ المطلب الثاني: معاني حروف الجر.

لما كانت الكلمة القرآنية أحد ثلاثة أنواع: اسم أو فعل أو حرف، كان لثلثها الأخير عناية فائقة في نظر الشيخ وتأملاته وتدبراته، فنراه يتأمل حروف الجر، ويستحضر معانيها، ويلاحظ معنىٰ حرف الجر (مِن) في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣]، من حيث دلالته علىٰ التبعيض، ويتأمل العلاقة بين التبعيض والإنفاق، ويتفطن إلىٰ علة إيراده في الآية فيقول: «**وأتىٰ بـ(مِن) الدالة علىٰ التبعيض؛ لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءًا يسيرًا من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم**»[(٢)].

= والتنوير؛ لابن عاشور (٢/ ٣٦-٣٧).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٩٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠)، وانظر: التحرير والتنوير (١/ ٢٣٦)، وتفسير الفاتحة والبقرة؛ =

ويلاحظ معنىٰ حرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥] من حيث دلالته علىٰ الاستعلاء؛ فيقول: «**وأتىٰ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ في هذا الموضع، الدالة علىٰ الاستعلاء**»، ولا يقف الأمر عند ذلك بل يتعداه ليقارن بين استعمال حروف الجر ودلالتها علىٰ المعنىٰ، فنجده يلاحظ دلالة استعمال حرف الجر ﴿فِي﴾ عند مقابلة الهدىٰ بالضلالة في آية تقارب الآية المذكورة في الفحوىٰ، ليؤكد معنىٰ الآية الأول من استعمال ﴿عَلَىٰ﴾ مع الهداية، وليوضح دلالة ﴿عَلَىٰ﴾ علىٰ استعلاء المكانة، وليوضح كذلك دلالة ﴿فِي﴾ الظرفية، ويشير إلىٰ تمكنها من صاحبها في الظرفية فيقول: «**وفي الضلالة يأتي بـ ﴿فِي﴾ كما في قوله**: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]؛ **لأن صاحب الهدىٰ مستعل بالهدىٰ، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتقر**»(١).

◆ المطلب الثالث: الجمل المعترضة.

جمل القرآن الكريم يشد بعضها بعضًا، وتؤازر إحداها الأخرىٰ، فكل واحدة تأخذ بِحُجَز أختها، تقويها وتشد عضدها، وليست الجمل المعترضة بمنأىٰ عن هذا الصنيع، فهي وإن سميت معترضة إلا أنها تؤدي وظيفة الجمل الأساسية بحذافيرها، والشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفطن لهذه الخصيصة، فأرْعَها انتباهه، ومن ذلك تأمله سر مجيء الجملة المعترضة: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] في معرض الحديث عن جزاء المؤمنين، وبيانه أثرها علىٰ المعنىٰ، وما فيها من معنىٰ عميق واحتراز دقيق، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا

= لابن عثيمين (١/ ٣٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠)، وانظر: الكشاف؛ للزمخشري (١/ ٤٤).

بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢١-٢٢]، فقال: «**ولما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار كذلك، يُلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم، أخبر أنه ليس حكم الدارين حكمًا واحدًا، فإن النار دار العدل، ومن عدله تعالىٰ ألا يعذب أحدًا إلا بذنب، ولهذا قال: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرتهن بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرىٰ، ولا يحمل علىٰ أحد ذنب أحد. هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور**»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨١٥).

المبحث الثالث:
أساليب بيان الآيات القرآنية

المطلب الأول: أسلوب النهي.

القرآن الكريم حافل بالتوجيهات والتحذيرات، مليء بالإرشادات والتنبيهات، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يعتني بتدبر ما جاءت به التحذيرات من أساليب النهي، فيلاحظ أبعاد النهي والتركيب اللفظي للأسلوب الوارد فيه، فمثلًا نراه يقف عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، فيتدبر الآية ويصدر تدبره عن انفعال باستفهام تعجبي، ثم يترجمه في دعاء فيقول: «**ففي هذه الآية: التحذير من الركون إلىٰ كل ظالم، والمراد بالركون، الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته علىٰ ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم. وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلىٰ الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟! نسأل الله العافية من الظلم**»[(١)].

ويتأمل النواهي والتحذيرات الإلهية، ويستشف ما فيها من دلالات من خلال ملاحظة أسلوب الآية وتركيبها، فمثلًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، لاحظ ثلاثة أشياء، فقال: «**وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمرين منهي عنهما، وهما قول الكذب علىٰ الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٩٠)، وانظر: البسيط؛ للواحدي (١١/ ٥٧٨)، ورموز الكنوز؛ للرسعني (٣/ ٢٥١).

وأفعاله وشرعه ورسله، والثالث: مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور»[1]، فأما الشيء الأول: وهو النهي عن قول الكذب علىٰ الله، فمستفاد من النظر إلىٰ تركيب الجملة كاملة من النهي: ﴿لَا تَقُولُواْ﴾، والاستثناء ﴿إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾، وملاحظة المعنىٰ العام المفهوم من الآية، وأما الشيئان الآخران وهما: النهي الثاني، والشيء المأمور به، فمستفادان من النظر إلىٰ الاستثناء: ﴿إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾، فإن المرء في علمه بأسماء الله وصفاته وأفعاله وشرعه يدور بين فلكي العلم والجهل، فإن كان جاهلًا فالنهي موجه إليه بعدم القول بلا علم، وإن كان عالمًا فالأمر موجه إليه بتبليغ الحق وتبيينه.

◆ المطلب الثاني: أسلوب الاحتراز[2]

آيات القرآن الكريم بلغت في الإحكام غايته، وفي الاحتراز نهايته، فألفاظها منتقاة بأعلىٰ المستويات، وأدق الاختيارات، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يتأمل دقة القرآن في استعمال الألفاظ وإضافتها، فيلاحظ دقة القرآن الكريم في إضافة الصفات إلىٰ متعلقاتها واحترازه في نسبتها، فنراه يتأمل احتراز القرآن في إضافة وصف الكبر المشعر بالتعظيم إلىٰ عبَّاد الأصنام وأصحابها، لا إلىٰ ذات الأصنام، وذلك عند تفسيره قول الله تعالىٰ: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]؛ فيقول: «**وتأمل هذا الاحتراز العجيب، فإن كل ممقوت عند الله، لا يطلق عليه ألفاظ التعظيم، إلا علىٰ وجه إضافته لأصحابه، كما كان النبي ﷺ إذا كتب إلىٰ ملوك الأرض المشركين يقول: «إلىٰ عظيم الفرس»، «إلىٰ عظيم الروم»،**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٢١٦).

(٢) القواعد الحسان: القاعدة السابعة والعشرون: المحترزات في القرآن تقع في كل المواضع في أشد الحاجة إليها. (ص:٨١).

ونحو ذلك، ولم يقل: «إلى العظيم»، وهنا قال تعالى: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ ولم يقل: «كبيرًا من أصنامهم»، ويترجم تأمله هذا إلى تحذير فيقول: «فهذا ينبغي التنبيه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه»[(١)].

ومن ذلك ملاحظته لدقة القرآن في استعمال بعض الاحترازات في العبارات، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، فلاحظ استعمال حرف الجر ﴿مِنْ﴾ مع الأمر بحفظ البصر دون حفظ الفرج، وفتش عن علة ذلك وأوضحها بقوله: «**وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقًا، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما البصر فقال: ﴿يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ أتى بأداة ﴿مِنْ﴾ الدالة على التبعيض**[(٢)]**، فإنه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك**»[(٣)].

◆ المطلب الثالث: أسلوب التنكير.

تنوعت دلالات التنكير في القرآن الكريم، وهي مستفادة بحسب السياق، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ له عناية بحال الكلمة من التعريف والتنكير، فيُقَلِّب الكلمة

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٢٦).

(٢) على أحد الأقوال الواردة فيها، قال السمين في الدر المصون (٨/ ٣٩٧): «في ﴿مِنْ﴾ أوجهٌ، أحدُها: أنها للتبعيضِ لأنَّه يعفى عن الناظِرِ أولُ نظرةٍ تقعُ مِنْ غيرِ قَصْدٍ. والثاني: لبيانِ الجنسِ. قاله أبو البقاء، وفيه نظرٌ؛ من حيث إنَّه لم يتقدَّمْ مُبْهَمٌ يكونُ مفسَّراً بـــ ﴿مِنْ﴾. والثالث: أنها لابتداءِ الغاية، وقاله ابنُ عطية. والرابعُ: أنها مزيدةٌ. وهو قولُ الأخفشِ». وانظر: مفاتح الغيب؛ للرازي (٢٣/ ٣٦٠، ٣٦١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٦٦)، وانظر: روضة المحبين؛ لابن القيم (ص:٩٢)، والتحرير والتنوير (١٨/ ٢٠٣، ٢٠٤).

ويلاحظ حالها ويتأمل مآلها، فمن ذلك ملاحظته دلالة التنكير على العظمة في لفظ ﴿هُدًى﴾ من قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]؛ فيقول: «﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ **أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم**[(١)]»، ثم يصدر تدبره عن انفعالي وجداني باستفهامات تفيد حصر الهداية فيما جاء به النبي ﷺ من عقيدة وشريعة؛ فيقول: «**وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة؟**»، ويقول: «**وهل الهداية الحقيقية إلا هدايتهم؟، وما سواها مما خالفها، فهو ضلالة**»[(٢)].

◆ المطلب الرابع: أسلوب الحذف[(٣)].

أخالني لا أجد أسلوبًا حفل به القرآن كما الحذف، فلإن كانت البلاغة الإيجاز، فالقرآن متربع على عرش البلاغة، ولإن كان الإيجاز عين البلاغة فلا أدلَّ عليه من الحذف، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ له وقفات كثيرة مع أسلوب الحذف في القرآن الكريم، ومن ذلك ملاحظته متعلق الإنفاق المحذوف في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، حيث يقول: «**ولم يذكر المنفق عليهم، لكثرة أسبابه وتنوع أهله، ولأن النفقة من حيث هي؛ قربة إلى الله**»[(٤)].

---

(١) ينظر الكشاف: (١/ ٤٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠).

(٣) القواعد الحسان: القاعدة الرابعة عشرة: حذف المتعلق المعمول فيه: يفيد تعميم المعنى المناسب له. (ص:٤٣)، والقاعدة السادسة عشرة: حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد. (ص:٤٧).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠).

فذكر لذلك ثلاثة تقديرات، كل واحدة منها ناتجة عن لحظة تأملية وتجربة تدبرية في الآيات التي ورد فيها الحث على الإنفاق، فقوله: «**لكثرة أسبابه**» يقصد به الدوافع وراء الإنفاق، فقد يكون الإنفاق لأداء عبادة ابتداءً كالزكاة، أو في أداء عبادة كالحج، أو بر وصلة، أو في الإنفاق على الوالدين والأسرة، أو في كفارة، أو في عتق رقبة، أو مشاركة في وجوه الخير كبناء المساجد والمستشفيات وكفالة طلاب العلم وغيرها، وقوله: «**وتنوع أهله**» يقصد به الفئة المستحقة للإنفاق عليها كمصارف الزكاة ومن في حكمهم، وهذا مستفاد من استحضاره الذهني للآيات الكريمات نحو قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، ونحو قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، وقوله: «**ولأن النفقة من حيث هي قربة إلى الله**» مستفاد من تأمله للآيات الكريمات الحاثة على الإنفاق في سبيل الله، وأنها من أعظم القرب التي يحبها الله ويرضى عن فاعليها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٨-٢٠].

ومن ذلك تأمله علة حذف معمول الإبانة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]؛ فقال: «﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾، **أي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل علىٰ أنه مبين لجميع الحق، بأدلته التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله الله كذلك علىٰ رسوله**»(١).

ومن ذلك ملاحظته الأثر البلاغي في دلالة حذف معمول التساؤل في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠] فقال: «**وحذف المعمول، والمقام مقام لذة وسرور، فدل ذلك علىٰ أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، والمسائل التي وقع فيها النزاع والإشكال. ومن المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه**»(٢).

◆ المطلب الخامس: أسلوب الاكتفاء

لا شك أن الاكتفاء أحد أشكال الحذف، وإفراده بالبحث- هنا- لتسليط الضوء علىٰ المنهجية البديعة التي سلكها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تناوله، ومن ذلك ملاحظته أسلوب القرآن بالاكتفاء بذكر أحد الأمرين المتلازمين من الحكمة من الإنعام بالملابس والثياب وهما الوقاية من الحر والبرد، فاقتصرت الآية علىٰ ذكر

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٩٨)، وانظر: الوسيط؛ للواحدي (٣/ ٥١٩)، وتفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (٦/ ٥٩٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٠٣)، وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل؛ للبيضاوي (٥/ ١٣)، وروح المعاني؛ للألوسي (١٢/ ٨٨).

الوقاية من الحر ولم تذكر البرد، فيقول عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]: «**ولم يذكر الله البرد**[(١)]؛ **لأنه قد تقدم أن هذه السورة أولها في أصول النعم وآخرها في مكملاتها ومتمماتها، ووقاية البرد من أصول النعم فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله:** ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾ [النحل: ٥]»[(٢)]، وهذا نص كلامه أول السورة: «**هذه السورة تسمىٰ سورة النعم، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها**»[(٣)]. فنلاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تأمل المواضيع التي تناولتها السورة، ولاحظ أن السورة تعرض في أولها أصول النعم وقواعدها فناسب البداية التأصيل، وتعرض في آخرها المتممات والمكملات فناسب النهاية الكمال، واستطاع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن يربط بين هذه العلاقة وبين أساليب الآيات ليرد آخرها علىٰ أولها في استنتاج بديع، فجعل الاقتصار علىٰ ذكر الوقاية من الحر مردود علىٰ أول السورة التي ذكر فيها الأصل من اتخاذ الملابس وهو الدفء، ودقة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وفطنته وملاحظته لهذا الموضع تنبئ عن فهم عميق، وتأمل وتحقيق في العبارات والأساليب.

◆ المطلب السادس: أسلوب التكرار.

من المقرر أن ما تَكرَّر تَقرَّر، واللفظ القرآني إذا تكرر حمل معه فوائد، وملح زوائد، والآية إذا كررت أو أعيدت عادت كأنها آية جديدة، فليس تكراراها تفكهًا ولا عبثيًا، بل التكرار ينطوي علىٰ حكم وأسرار، وقد كشف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن شيء من حكم هذا التكرار، وأبان عن غوامض من هذه الأسرار، ومن ذلك

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٦٢٥)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٦/ ٥٧٧)، وفتح الرحمن؛ للأنصاري (ص:٣١٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٤٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٣٥-٤٣٦)، وانظر: مجموع الفتاوىٰ؛ لابن تيمية (١٥/ ٢١٨، ٢١٩).

ملاحظته مرات تكرار لفظ ﴿تَبَارَكَ﴾ في سورة الفرقان؛ حيث ورد فيها ثلاث مرات الأول: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، والثاني في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ﴾ [الفرقان: ١٠]، والثالث في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ صدر تأمله ببيان معنىٰ اللفظ المكرر، وقسم الآيات بحسب ما فيها من معان ودلالات، ملاحظًا مقصد السورة وهدفها الرئيس، وجعل ذلك التقسيم باعتبارات تكاملية، فلاحظ معنىٰ الحكمة والعلم في أحكام الأمر والجزاء، ومعنىٰ الآيات الشرعية بإنزال الكتاب والآيات الكونية بتسخير السماوات وما فيها من أجرام وبروج، ومعنىٰ الرحمة بإيصال الخيرات الدينية والدنيوية، وما بين هذه العلاقات من تلائم وتناغم، وكشف عن تأمله بقوله: «**كرر تعالىٰ في هذه السورة الكريمة قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ ثلاث مرات؛ لأن معناها كما تقدم أنها تدل علىٰ عظمة الباري وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه. وهذه السورة فيها من الاستدلال علىٰ عظمته وسعة سلطانه ونفوذ مشيئته وعموم علمه وقدرته وإحاطة ملكه في الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية وكمال حكمته. وفيها ما يدل علىٰ سعة رحمته وواسع جوده وكثرة خيراته الدينية والدنيوية ما هو مقتضٍ لتكرار هذا الوصف الحسن فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١]**»[(١)].

ومن ذلك أيضًا تأمله مناسبة التعقيب بتقرير النعم وتذكرها وشكرها بقوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٦] بعد التخويف بالعذاب الوارد

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٨٦)، وانظر: أسرار التكرار في القرآن؛ للكرماني (ص:١٨٨)، وفتح الرحمن؛ للأنصاري (ص: ٤٠٢، ٤٠٣).

في قوله تعالىٰ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]؛ فبدأ ببيان معنىٰ الآية فقال: «**ثم ذكر ما أعد لهم في ذلك الموقف العظيم؛ فقال:** ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ **أي: يرسل عليكما لهبٌ صافٍ من النار.** ﴿وَنُحَاسٌ﴾ **وهو اللهب، الذي قد خالطه الدخان، والمعنىٰ أن هذين الأمرين الفظيعين يرسلان عليكما يا معشر الجن والإنس، ويحيطان بكما** ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾**، لا بناصر من أنفسكم، ولا بأحد ينصركم من دون الله**».

ثم ذكر وجه مناسبة التعقيب فقال: «**ولما كان تخويفه لعباده نعمة منه عليهم، وسوطًا يسوقهم به إلىٰ أعلىٰ المطالب وأشرف المواهب، امتنَّ عليهم فقال:** ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٦]»[(١)].

ومن ذلك تأمله تكرار الآية: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣، ٥]، فقد تكررت مرتين في سورة الكافرون، الأولىٰ بعد ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ٢]، والثانية بعد: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ [الكافرون: ٤]، ولاحظ أنها جاءت في كل مرة مراعاة لحال من أحوال الكافرين، فالأولىٰ راعت الوصف الأولي الابتدائي، والثانية راعت لزومه واستمراره فيهم، فقال: «﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] **لعدم إخلاصكم في عبادته، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمىٰ عبادة، ثم كرر ذلك؛ ليدل الأول علىٰ عدم وجود الفعل، والثاني علىٰ أن ذلك قد صار وصفًا لازمًا**»[(٢)].

◆ ◆ ◆

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣٠)، وانظر: إرشاد العقل السليم (٨/ ١٨٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٣٦).

المطلب السابع: أسلوب البناء للمفعول.

لا شك أن لعدول الأسلوب من منحىٰ لآخر غايات ودلالات، ومن ذلك استعمال أسلوب البناء للمفعول دون الفاعل، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تدبر هذا الأسلوب، ومن ذلك تأمله السر البلاغي في صياغة الفعل للمفعول (قيل)، فيقول في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]: «**لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك علىٰ أن جميع الخلق نطقوا بحمد ربهم وحكمته علىٰ ما قضىٰ به علىٰ أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة**»(١).

المطلب الثامن: أسلوب الاستفهام.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يلاحظ معاني الأساليب البيانية القرآنية، ومن ذلك ملاحظته السر البلاغي في أسلوب الاستفهام في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وأنه مستعمل لتقرير النفي؛ فقال: «**هذا استفهام بمعنىٰ النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولًا. أي: كلامًا وطريقة وحالةً ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهىٰ الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه**»(٢).

◆ ◆ ◆

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٣١)، وانظر: الفوائد؛ لابن القيم (ص: ١٦٢)، وروضة المحبين (ص: ٦٤، ٦٥)، والتحرير والتنوير (٢٤/ ٧٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٤٩). وانظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٨٨)، وتفسير سورة فصلت؛ لابن عثيمين (ص: ١٨٣).

◆ المطلب التاسع: أسلوب الالتفات.

يحمل أسلوب الالتفات دلالات عظيمة، ومضامين جليلة، فليس الالتفات مجرد تحويل في الأسلوب، بل له أثره البالغ في بلاغة التراكيب ومعاني العبارات؛ وذلك بما يحمله من قيم أخلاقية وإشارات تربوية، فنرىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في معرض تفسيره لقصة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه يلاحظ دلالة الالتفات في الخطاب عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، ويلاحظ أن في عدم توجيه الخطاب بالنكارة إلىٰ الضيوف نوع من الأدب ولطف الكلام فقال: «**ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾، ولم يقل: (أنكرتكم)، وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفىٰ**»(١).

ومن ذلك ملاحظته التغاير في الأسلوب الإنشائي عند تغاير المعنىٰ المراد إيصاله، ففي قوله تعالىٰ حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] يلاحظ أن معنىٰ إرادة الخير صيغ بأسلوب البناء للفاعل، بينما معنىٰ إرادة الشر صيغ بأسلوب البناء للمفعول، فقال: «**وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلىٰ الله تعالىٰ، والشر حذفوا فاعله تأدبًا مع الله**»(٢).

◆ المطلب العاشر: أسلوب الإغراء.

لكل مقام مقال، وأَعْظِم بالقرآن حين يتحدث، فتراه يسوق أساليب الترغيب والترهيب بأحسن توظيف وأحكم تأليف، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لاحظ أساليب القرآن في الترغيب والترهيب، وهي في بعض الأحيان دقيقة خفية، لا تظهر إلا لمن

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨١٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٩٠)، وانظر: تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (٨/ ٢٤٠)، وإرشاد العقل السليم (٩/ ٤٤).

أعمل فكره وأدار بصره، ومن ذلك تدبره لانتقاء القرآن الكريم اسم (الرحمن) للدلالة على الذات العلية من بين الأسماء الحسنى، واستشعاره لما يحمله الاسم العظيم من الدلالات، وتدبره كذلك لتركيب الجملة وإضافة العصيان إلى اسم (الرحمن)؛ وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ [مريم: ٤٤] فقال: «**وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن، إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته**»(١)؛ فنراه يلحظ معنى الترغيب والترهيب الذي هو أحد أشكال تدبر القرآن الكريم، ويستشعر أسلوب الإغراء في الآية الدافع للعبد نحو سلوك سبيل الرحمة من أداء الطاعات، واجتناب سبيل النقمة بارتكاب المعاصي والمخالفات.

◆ المطلب الحادي عشر: أسلوب التعريف والتنكير.

يستشف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من الدلالة البلاغية للتعريف والتنكير معنى لطيفًا، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾ [الشرح: ٥-٦]، لاحظ تكرار (العسر) و(اليسر) مرتين، وتنبه إلى أن (العسر) جاء في المرتين معرفًا بينما جاء (اليسر) فيهما منكرًا، فقال: «**وتعريف (العسر) في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير (اليسر) يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين**»، ولم يتوقف عند هذا الحد بل لاحظ معنى ال التعريف وما فيها من دلالات، وربطها بالمعنى السابق؛ فقال: «**وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر -وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ- فإنه في آخره التيسير ملازم له**»(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٩٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩٢٩)، وانظر: الكشاف (٤/ ٧٧١)، والتسهيل لعلوم التنزيل؛ لابن جزي (٢/ ١٩٣).

المطلب الثاني عشر: أسلوب استعمال الظاهر في مقام المضمر.

وضع الظاهر موضع المضمر يكون لفوائد ومحترزات، وتعليلات ومبررات، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يتأمل دقة القرآن في توظيف الألفاظ وإظهارها وإضمارها، ومن ذلك تأمله التعبير بالاسم الظاهر دون الضمير لعلة احترازية في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧] ؛ فيقول: «**وتأمل كيف قال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بعد قوله ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾، ولم يقل: (فويل لهم)؛ ليعود الضمير إلىٰ الأحزاب، لأن من الأحزاب المختلفين، طائفة أصابت الصواب، ووافقت الحق، فقالت في عيسىٰ: «إنه عبد الله ورسوله» فآمنوا به، واتبعوه، فهؤلاء مؤمنون، غير داخلين في هذا الوعيد، فلهذا خص الله بالوعيد الكافرين**»[(١)].

ويتدبر كذلك أسلوب القرآن في استعمال الظاهر مكان المضمر، فنراه في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [غافر: ٢٥] يلاحظ التعبير بالاسم الظاهر ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بدل ضمير الجمع (هم) عند إضافة الكيد للقوم المذكورين قبل فيقول: «﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ **ولم يقل: (كيدهم)**»، فكشف عن النكتة في ذلك ملاحظًا معهود القرآن وعادته الأسلوبية فقال: «**وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالىٰ: إذا كان السياق في قصة معينة أو علىٰ شيء معين، وأراد الله أن يحكم علىٰ ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم،**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٩٣)، وانظر: الجواب الصحيح؛ لابن تيمية (٢/ ١٦٥)، وتفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (٥/ ٢٣١)، وروح المعاني (٨/ ٤١١).

وعلَّقه على الوصف العام ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، ولينـدفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين. فلهذا لم يقل: (وما كيدهم إلا في ضلال)، بل قال: ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٣٦)، وانظر: أنوار التنزيل (٥/ ٥٥)، وإرشاد العقل السليم (٧/ ٢٧٣)، والقواعد الحسان: القاعدة السابعة والأربعون: السياق الخاص يراد به العام إذا كان سياق الآيات في أمور خاصة. (ص:١٢٢).

المبحث الرابع:

أساليب القرآن في رد الشبهات وتفنيد مزاعم المشركين[1]

انبرى الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لبيان أساليب القرآن الكريم في رد شبهات المشركين ومطاعن المشككين ودعاوى المغرضين، وقد أحسن في عرض الأساليب، فأبان عن جملة من الأساليب المنطقية والحجج العقلية، التي تدمغ الباطل وتمحقه، وتدحض حجته وتسحقه، فلا يملك الحصيف العادل إلا الإذعان والتسليم، وترك لجج المجادلة والخصام، وهاك نماذج من تلك الأساليب:

◆ المطلب الأول: أسلوب التسلسل المنطقي.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يلاحظ التسلسل المنطقي والعرض الترتيبي للآية القرآنية، فمثلًا عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] يقول: «**وتأمل كيف أبطل هذا القول بالتدريج، والانتقال من شيء إلى أبطل منه، فأخبر أولًا أنه:** ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾، **والقول على الله بلا علم لا شك في منعه وبطلانه، ثم أخبر ثانيًا أنه: قول قبيح شنيع فقال:** ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾، **ثم ذكر ثالثًا مرتبته من القبح، وهو: الكذب المنافي للصدق**»[2]. فجعل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الرد على قول الكفرة المشركين: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤]، وإبطال قولهم يتدرج في ثلاثة مراحل، المرحلة الأولى: نفي

(١) القواعد الحسان: القاعدة الثانية والخمسون: إذا وضح الحق وبان، لم يبق للمعارضة العلمية، ولا العملية محل. (ص: ١٣٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٧٠).

العلم عنهم ورميهم بالجهل والقول علىٰ الله بغير علم، وهذه مقدمة ضرورية لما بعدها، المرحلة الثانية: وصف قولهم بالقبح والشناعة، والجاهل إن تكلم بغير علم فلا يخلو قوله من قبح، أدناه قبح التجرؤ علىٰ الكلام بغير علم، فما بالك لو تكلم في حق الله! وهذه المرحلة توطئة وضرورية لما بعدها، المرحلة الثالثة: وصف قولهم بالكذب، وهذا وصف دقيق لمبلغ القبح والشناعة في قولهم، فهو قول شنيع مختلق، ومحض افتراء وكذب؛ إذ لا أصل له ولا حقيقة.

◆ المطلب الثاني: أسلوب الحجة المنطقية العقلية.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يلاحظ الحجة المنطقية التي تعرضها الآيات القرآنية في بيان بطلان آلهة المشركين وتقرير زيفها وعجزها، فنراه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [يس: ٧٤-٧٥] يقول: «**هذا بيان لبطلان آلهة المشركين، التي اتخذوها مع الله تعالىٰ، ورجوا نصرها وشفعها، فإنها في غاية العجز ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ ولا أنفسهم ينصرون، فإذا كانوا لا يستطيعون نصرهم، فكيف ينصرونهم؟ والنصر له شرطان: الاستطاعة والإرادة**[(١)]**، فإذا استطاع، يبقىٰ: هل يريد نصرة من عبده أم لا؟ فَنَفْيُ الاستطاعة، ينفي الأمرين كليهما**»[(٢)]، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قرر أن للنصر شرطين: الاستطاعة والإرادة، ولاحظ أن الآية نفت عن الآلهة الاستطاعة، فانتفت ضمنيًا الإرادة، ونفي الاستطاعة والإرادة دليل عجز لا يتصف به الإله.

---

(١) في النص الأصلي: (والقدرة)، والذي يظهر ما أثبته؛ كما قال محقق الكتاب: ويبدو -والله أعلم- أن الشرطين هما: الاستطاعة والإرادة، وبقية كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يدل علىٰ ذلك.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٩٩)، وينظر: جامع البيان؛ للطبري (١٩/ ٤٨٤، ٤٨٥)، وإغاثة اللهفان؛ لابن القيم (١/ ٤٠)، وإرشاد العقل السليم (٧/ ١٧٩).

المطلب الثالث: أسلوب التقسيم المنطقي.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يتأمل التقسيم المنطقي في عرض الحجة، فمن ذلك تأمله للأسلوب المنطقي للآية الكريمة: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] الواردة في سياق محاجة الكافرين والرد علىٰ إنكارهم وجود إله خالق؛ فلاحظ أن الآية تحمل جملة من الأسئلة التي تقود إلىٰ تقرير نتيجة حتمية أنه لا خالق إلا الله، فبدأ أولًا بعرض الاستنباط فقال: «**وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين**»، ثم شرع بعد ذلك في بيان ما قرره فقال: «**وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خُلقوا من غير شيء، أي: لا خالق خلقهم، بل وُجدوا من غير إيجاد ولا مُوجِد، وهذا عين المحال. أم هم الخالقون لأنفسهم؟ وهذا أيضًا محال، فإنه لا يتصور أن يُوجِدوا أنفسَهم، فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالىٰ هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالىٰ**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨١٦)، وانظر: مفاتح الغيب (٢٨/ ٢١٨).

المبحث الخامس:
المضامين التربوية لأساليب الآيات القرآنية.

إن الناظر في تفسير الشيخ السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» يجده يعتني بالجوانب الأخلاقية والمضامين التربوية، فجاء تفسيره حافلًا بالتدبرات الغنية بالإشارات والقيم الأخلاقية التربوية، وهذه المطالب تحكي نماذج من هذه التدبرات.

◆ المطلب الأول: النموذج الأول: مراعاة الأسلوب المناسب لحال المدعو[1].

ومن ذلك ملاحظة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أسلوب القرآن الكريم في التدرج في معالجة القضايا والأمور، ويظهر ذلك جليًا عند تدبر قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] فيقول: «**ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلىٰ الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإنِ انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.....، فإن كان المدعو يرىٰ أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلىٰ الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعىٰ لاستجابته عقلًا ونقلًا**»[2]. فنراه يتأمل الأمر بدعوة الخلق

---

(١) القواعد الحسان: «القاعدة الحادية والعشرون: القرآن يجري في إرشاداته مع الزمان والأحوال في أحكامه الراجعة للعرف والعوائد». (ص: ٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٥٢)، وانظر: الصواعق المرسلة؛ لابن القيم (٤/ ١٢٧٦)، والرد علىٰ

إلىٰ سبيل الله المستقيم مراعيًا اختيار الوسيلة المناسبة بحسب حالة المدعو وفهمه وانقياده، فيجعل لكل حالة أسلوب ووسيلة، ويلاحظ ترتيب الآية وتدرج القرآن في عرض الوسائل والأساليب وانتقالها من الحكمة إلىٰ الموعظة إلىٰ المجادلة بالتي هي أحسن، فالترتيب لذاته مقصود، والداعية يقدر حال المدعو وظروفه، ويبدأ بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلىٰ الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، فإن تعذر القبول بالرفق واللين، انتقل إلىٰ الدعوة بالموعظة، فإن كان المدعو مجادِلًا؛ فيجادَل بالتي هي أحسن.

◆ المطلب الثاني: النموذج الثاني: التأني في طلب العلم.

ومن ذلك معايشته للآيات التي تحمل توجيهات إلهية للنبي ﷺ ولأنبيائه الكرام، فيستشف منها جوانب من الفوائد الدقيقة والآداب الرفيعة التي ينبغي أن يتحلىٰ بها المتعلم والمعلم، ويوظفها في خدمة العملية التعليمية من الناحية التربوية، فنراه عند تفسير قوله تعالىٰ: «﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه: ١١٤] يقول: «**ويؤخذ من هذه الآية الكريمة الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنىٰ ويصبر حتىٰ يفرغ المُمْلي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم؛ فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسئول ينبغي له أن يستملي سؤال السائل ويعرف المقصود منه قبل الجواب؛ فإن ذلك سبب لإصابة الصواب**»[(١)].

= المنطقيين؛ لابن تيمية (ص: ٤٦٨).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥١٤)، وانظر: فتح الرحيم الملك العلام؛ للسعدي (ص:٢١١).

المطلب الثالث: النموذج الثالث: التأدب مع الضيفان.

ومن ذلك ملاحظته أسلوب العرض دون الأمر في خطاب إبراهيم لضيفه حين أعد لهم الطعام حين قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، ولم يقل: (كلوا)، وما في هذا الأسلوب من الأدب واللين، ويصدر تأمله عن دعوة للاقتداء بسلوك الأنبياء عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فيقول: «**ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصًا، عند تقديم الطعام إليه، فإن إبراهيم عرض عليهم عرضًا لطيفًا، وقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ولم يقل: (كلوا) ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولىٰ منها، بل أتىٰ بأداة العرض، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾. فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: (ألا تأكلون) أو: (ألا تتفضلون علينا وتشرفوننا وتحسنون إلينا)، ونحوه**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨١١)، وانظر: مفاتح الغيب (٢٨/ ١٧٦)، والتحرير والتنوير (٢٦/ ٣٦٠).

الفصل الثاني:

مجالات التدبر الموضوعية

استطاع الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ -بتوفيق الله له- طَرْق عدةَ مجالات تدبرية، ومواطن تأملية، بحسب موضوعاتها ومضامينها، وعلىٰ تنوع مشاربها ومناحيها، والناظر فيها يجدها مستودعًا للتدبرات ومنبعًا للتأملات، فما أجمل أن نعتني بها ونجتهد في التفتيش عن مكامن التدبر فيها، والمباحث الآتية تسلط الضوء علىٰ جوانب منها، فأقول وبالله التوفيق:

المبحث الأول:

أقسام القرآن

للشيخ السعدي رحمه الله عناية خاصة بأقسام القرآن الكريم، فلا تكاد تجد موضعًا من الأقسام لم يقف عنده ويحلله ويتأمله، ويصدر عن تأملات وتدبرات نفيسة، ومن ذلك تأمله للقسم الوارد في فاتحة سورة يس؛ عند قوله تعالىٰ: ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ١-٥]، فنراه يوضح العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه؛ فبدأ أولًا ببيان أقسام القسم فقال: «**هذا قسم من الله تعالىٰ بالقرآن الحكيم، الذي وصفه الحكمة،.....**»، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ «**هذا المقسم عليه، وهو رسالة محمد ﷺ، وإنك من جملة المرسلين، فلست ببدع من الرسل**»، ثم كشف عما تأمله من علاقة بين المقسم به والمقسم عليه، وهي علاقة تعاضد ومساندة؛ فقال: «**ولا يخفىٰ ما بين المقسم به، وهو القرآن**

الحكيم، وبين المقسم عليه، وهو رسالة الرسول محمد ﷺ، من الاتصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم، لكفىٰ به دليلًا وشاهدًا علىٰ رسالة محمد ﷺ، بل القرآن العظيم أقوىٰ الأدلة المتصلة المستمرة علىٰ رسالة الرسول، فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة محمد ﷺ»، ثم قال بعدها: «**فتأمل جلالة هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، علىٰ أجل مقسم عليه، وخبر الله وحده كاف، ولكنه تعالىٰ أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع علىٰ صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه، وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه، وهذا الصراط المستقيم ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾**»[1].

ومن ذلك إبرازه مدلولات القسم وبيانه الروابط وإيضاحه العلاقات بين المقسم به والمقسم عليه بقالب تدبري، ويظهر ذلك عند تأمله فاتحة سورة التين، فبدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بتأمل العلاقة بين المقسم به في الآيات الكريمة؛ واستطاع أن يبرز العلاقة بين التين والزيتون الذين هما نباتات، وبين الطور والبلد الأمين الذين هما أماكن، فراعىٰ مكان انتشار التين والزيتون وكثرة زراعتهما، فكانت الشام حاضنتهما وهي محل نبوة نبي كريم، وهي العلاقة المشتركة بين الطور والبلد الأمين فهما محل نبوة نبيين كريمين أيضًا؛ فكانت السورة مفتتحة بالقسم بأشرف المواضع وأقدسها، فقال: «﴿وَٱلتِّينِ﴾ [التين: ١]، **هو التين المعروف، وكذلك ﴿وَٱلزَّيۡتُونِ﴾** [التين: ١] **أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسىٰ ابن مريم** عليه السلام، **﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾** [التين: ٢]، **أي: طور**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٩٢)، وانظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥/ ٤٤٩)، ونظم الدرر؛ للبقاعي (١٦/ ٩٤).

سيناء، محل نبوة موسىٰ عليه السلام، ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين: ٣] وهي: مكة المكرمة، محل نبوة محمد ﷺ. فأقسم تعالىٰ بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها وابتعث منها أفضل النبوات وأشرفها».

ثم راح يتأمل المقسم عليه مستشعرًا ما يتوجب علىٰ الإنسان القيام به تجاه تلك النعمة العظيمة والمنة الجسيمة من صنع الإنسان في أحسن صورة وأتم خلقة، فقال: «**والمقسم عليه قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾** [التين: ٤] **أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا، ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق، فردهم الله في أسفل سافلين»**[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩٢٩)، وانظر: مفاتح الغيب (٣٢/ ٢١١)، ونظم الدرر (٢٢/ ١٣٤).

المبحث الثاني:
الخطاب القرآني(١)

للشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ اهتمام واضح في ملاحظة الخطاب القرآني، فيقف عنده ويتأمله، ويسقطه علىٰ الواقع، ويكشف عن شيء من أسراره، ويبرز علة تغاير الخطاب وما يحمل في طياته من إشارات، فمثلًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]، فيقول: «**واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال المذكورة خوطبوا بها وهي فعل أسلافهم، ونسبت لهم لفوائد عديدة**»، فنراه هنا يلاحظ الفارق الزماني للقوم المخاطبين أصالة ويسقطه علىٰ القوم المخاطبين نيابة، ويستشف من ذلك الخطاب فوائد فيقول: «**ونسبت لهم لفوائد عديدة منها: أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم علىٰ محمد ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقررت عندهم، ما يبين به لكل أحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق، ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه حالة سلفهم، مع أن المظنة أنهم أولىٰ وأرفع حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين؟**

ومنها: أن نعمة الله علىٰ المتقدمين منهم، نعمة واصلة إلىٰ المتأخرين، والنعمة علىٰ الآباء، نعمة علىٰ الأبناء، فخوطبوا بها، لأنها نعم تشملهم وتعمهم.

---

(١) القواعد الحسان: القاعدة السادسة والأربعون: ما أمر الله به في كتابه، إما أن يوجه إلىٰ من لم يدخل فيه فهذا أمر له بالدخول فيه، وإما أن يوجه لمن دخل فيه فهذا أمر به ليصحح ما وجد منه، ويسعىٰ في تكميل ما لم يوجد فيه. (ص:١٢١).

ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل علىٰ أن الأمة المجتمعة علىٰ دين تتكافل وتتساعد علىٰ مصالحها، حتىٰ كان متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد، وكان الحادث من بعضهم حادثًا من الجميع؛ لأن ما يعمله بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعمله من الشر يعود بضرر الجميع.

ومنها: أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلىٰ غير ذلك من الحِكَم التي لا يعلمها إلا الله»[(١)].

ويلاحظ المعاني التربوية في الخطاب والحوار القرآني، ويتأمل الأثر النفسي لاختيار اللفظ وما يتركه في نفس المخاطبين فمثلًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، لاحظ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن يوسف عليه السلام مر بمراحل عصيبة ومواقف شديدة، فمن إلقائه في الجُبِّ صغيرًا، إلىٰ بيعه عبدًا مملوكًا، مرورًا بفتنة امرأة العزيز، ثم دخوله السجن، وغيرها من المشاهد والأحداث التي تجسدت فيها الألطاف الإلهية والعناية الربانية، ولكنه اختار في موقف تعداد نعم الله عليه وإحسانه به أن يذكر نعمة إخراجه من السجن، والمتقرر أن العبد إذا أراد أن يحدث بنعم الله عليه فإنه يذكر أولاها عناية، وأعلاها ولاية، وأكثرها رعاية، وأخصها إحسانًا، وأوسعها امتنانًا، ولعل أقربها إلىٰ الوصف المذكور نعمة إخراجه من السجن، إذ كانت العناية فيها عظيمة، والمنة فيها جسيمة، طفل صغير يلقىٰ في بئر مظلم في صحراء مقفرة مليئة بالوحوش والسبع والهوام، لا غذاء ولا كساء، دون ذنب اقترفه، وليس له في ذلك يد ولا اختيار، أما حادثة السجن فكانت باختياره[(٢)]،

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٣-٥٤)، وانظر: إرشاد العقل السليم (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: مفاتح الغيب (١٨/ ٥١٢)، والبرهان في علوم القرآن؛ للزركشي (٣/ ٦٦)، وفتح الرحمن؛

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هنا لاحظ أن يوسف عليه السلام أحسن قراءة موقف اجتماع أبويه وإخوته به فانتقىٰ أرقىٰ العبارات وأحلىٰ الكلمات ليوصل مقصوده دون تجريح أو إحراج؛ فلم يجرح ولم يحرج؛ فقال بكل لباقة وأناقة: «﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾، **وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب**»[(١)].

ونراه يقف عند طائفة من الآيات التي تخاطب النبي ﷺ مُذكِّرة بمنَّته سبحانه علىٰ نبيه وحفظه له من كيد أعداء الدين المتربصين للفتك به وبدعوته؛ وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٧٦ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٧]، فيقول: «**وفي هذه الآيات، دليل علىٰ شدة افتقار العبد إلىٰ تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملِّقًا لربه أن يثبته علىٰ الإيمان، ساعيًا في كل سبب موصل إلىٰ ذلك؛ لأن النبي ﷺ وهو أكمل الخلق، قال الله له: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾، فكيف بغيره؟**»، فنراه هنا يصدر تدبره عن استشعار بشدة افتقار العبد لمولاه، وأنه مهما بلغت مرتبته وعلا قدره فإنه لا يزال مفتقرًا لسؤال ربه الثبات علىٰ الإيمان، ويلاحظ أن الخطاب موجه إلىٰ سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ وهو المُسَدَّد المؤيَّد بنور الله، فيستشعر أنه لا مفر من سؤال العبد ربه الثبات، بل حريٌّ بغير النبي ﷺ أن يداوم علىٰ ذلك

= للأنصاري (ص:٢٨٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠٥)، وانظر: انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٦٠).

فهو أولىٰ بذلك وأجدر، ثم يقول: «**وفيها تذكير الله لرسوله منته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك علىٰ أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم -عند وجود أسباب الشر- بالعصمة منه، والثبات علىٰ الإيمان**»، فيلاحظ أن استشعار النعم في أوقات معينة وشكرها -وأعظمها نعمة الإيمان- مما يحبه الله ويرضاه، وشكرها يكون بالعصمة من الوقوع في أسباب الشر وبسؤال الله الثبات عليها، ويلاحظ أيضًا نوع الخطاب فيها، وما يتضمنه من أسلوب التهديد والوعيد علىٰ ارتكاب الآثام، فيقول: «**وفيها أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه، إذا فعل ما يلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل -وحاشاه من ذلك- بقوله:** ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾»[(١)]. فيلاحظ أن الآية الكريمة جاءت بأسلوب افتراضي؛ لتبين أن الجرم يعظم بحسب مرتبة صاحبه، والخطاب هنا -وإن كان موجهًا للنبي ﷺ- فهو غير متجه إليه البتة، والمراد تحذير أمته من الوقوع في مسالك المهادنة والموافقة لمطالب أعداء الدين الحريصين علىٰ زعزعة ثباته في قلوب المؤمنين الصادقين، فهذا التهويل في التحذير دليل أكيد علىٰ عظم الجرم وبشاعته، وأنه لا هوادة في من يقترف مثل هذه الأفعال أيًّا كانت مرتبته، بل يعظم إثمه بحسب مرتبته.

ومن ذلك ملاحظته الأثر الدلالي العميق في استعمال صيغة الجمع عند توجيه الخطاب للمفرد في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]، فمن المعلوم أن المخاطب به خطابًا أوليًا هي الحصان الرزان أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها، إلا أن الخطاب جاء لجماعة المسلمين، وتفطَّن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٦٤)، وانظر: مفاتح الغيب (٢/ ٣٨٠)، وإعلام الموقعين؛ لابن القيم (١/ ١٣٦).

لذلك ووقف عنده وراح يتأمله وصدر عن تدبر مفاده: «**ولذلك جعل الخطاب عامًّا مع المؤمنين كلهم، وأخبر أن قدح بعضهم ببعض كقدح في أنفسهم، ففيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم على مصالحهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، فكما أنه يكره أن يقدح أحد في عرضه، فليكره من كل أحد، أن يقدح في أخيه المؤمن، الذي بمنزلة نفسه، وما لم يصل العبد إلى هذه الحالة، فإنه من نقص إيمانه وعدم نصحه**»[(١)].

ومن ذلك ملاحظته لمغزى إيراد الافتراضات القرآنية في المحاجة العقلية للمخاطبين في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣]، وكشفه عن ما وراءها من إشارات، وما فيها من تحذيرات وتنبيهات، فهي وإن كانت موجهة للقوم المعاندين ابتداءً، إلا أن عموم المؤمنين مخاطبون بها خطابًا ضمنيًّا وهو ما تفطن إليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تأمله حين قال: «**وفي هذه الآيات، تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمرًّا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على الله بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر**»[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٦٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٢٣)، وانظر: التحرير والتنوير (٢٠/ ١٦٨)، وتفسير سورة القصص؛ =

المبحث الثالث:

المتشابه اللفظي

لم يغفل الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ علم المتشابه اللفظي، بل جعله محط اهتمامه وموضع أنظاره، فهو يلاحظ دقة القرآن في استعمال بعض الأدوات والتراكيب مع ألفاظ في مواطن وتركها في مواطن أخرىٰ، ويكشف عن النكتة في ذلك، فتراه يتأمل السر البلاغي واللطيفة البيانية في اقتران الفعل ﴿فُتِحَتۡ﴾ بالواو في معرض الحديث عن دخول المتقين الجنة، بينما خلا ذلك الفعل من الواو في معرض الحديث عن دخول الكافرين النار، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، فقال: «**وقال في النار ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾** [الزمر: ٧١]، **وفي الجنة ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ بالواو، إشارة إلىٰ أن أهل النار بمجرد وصولهم إليها؛ فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال، وليكون فتحها في وجوههم وعلىٰ وصولهم؛ أعظم لحرِّها، وأشد لعذابها.**

وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا من أتىٰ بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلىٰ الله بمحمد ﷺ، حتىٰ يشفع، فيشفعه الله تعالىٰ»[(١)]، وللمفسرين في توجيه هذا المتشابه أقوال

= لابن عثيمين (ص: ٣٢٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٣٠).

مخالفة لما ذهب إليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فقد قال الكرماني: «﴿وَفُتِحَتِ﴾ **بالواو للحال: أي جاؤوها وقد فتحت أبوابها**»[(١)]. وقال البيضاوي: «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ **حذف جواب إذا للدلالة علىٰ أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف، وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين**»[(٢)]، وقال السمين: «**وإنما جيْءَ هنا بالواوِ دونَ التي قبلها؛ لأنَّ أبوابَ السجون مغلقةٌ إلىٰ أَنْ يَجيئَها صاحب الجريمة فتُفتَحَ له ثم تُغْلَقَ عليه؛ فناسَبَ ذلك عَدَم الواوِ فيها، بخلافِ أبوابِ السرورِ والفرحِ فإنَّها تُفْتَحُ انتظارًا لمَنْ يَدْخُلُها**»[(٣)]. فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لاحظ معاني الأحاديث الشريفة في شفاعة النبي ﷺ في فتح أبواب الجنة[(٤)]، وأعملها في توجيه المتشابه اللفظي هنا، والحقيقة أن الآية تصف دخول المؤمنين بعد شفاعة النبي ﷺ وفتحه أبواب الجنة، والأحاديث تصف مرحلة سابقة عنها.

(١) أسرار التكرار في القرآن؛ للكرماني (ص: ٢١٩).

(٢) أنوار التنزيل (٥/ ٥٠).

(٣) الدر المصون (٩/ ٤٤٧).

(٤) كما في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**»، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**آتي بابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيامَةِ فأسْتَفْتِحُ، فيَقولُ الخازِنُ: مَن أنْتَ؟ فأقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقولُ: بكَ أُمِرْتُ لا أفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ**». المسند الصحيح المختصر؛ لمسلم القشيري (١/ ١٨٨).

المبحث الرابع:
مشاهد القيامة

يحفل القرآن الكريم بالحديث عن يوم القيامة وعرض مشاهده، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يعيش مع هذه المشاهد ويلاحظ مقصد القرآن وهدفه من الإخبار عن أحداث يوم القيامة وما يكون فيه من وقائع، ومن ذلك تأمله ما يكون من تبرؤ الشيطان من أتباعه، وكفره بشركهم، وتحكي الآية ذلك المشهد وفيه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يُحلِّق بعيدًا في مقصد الآية، فيلاحظ فيها جوانب من الألطاف الإلهية بعباده المؤمنين، فيقول: «**وهذا من لطف الله بعباده، أن حذرهم من طاعة الشيطان وأخبر بمداخله التي يدخل منها علىٰ الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وهنا بين لنا أنه إذا دخل النار وحزبه أنه يتبرأ منهم هذه البراءة، ويكفر بشركهم** ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤]»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٢٤)، وانظر: نظم الدرر (١٠/ ٤٠٨)، والتحرير والتنوير (١٣/ ٢١٨).

المبحث الخامس:
الأدعية القرآنية

يتأمل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الأدعية القرآنية ويلاحظ أبعاد المطالب فيها وما تتضمنه من لوازم، فمثلًا عند تفسير سؤال أولي الألباب ربهم وقايتهم من النار، وذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] يقول: «**بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار**»؛ ففسر طلب النجاة من النار بالهداية والإرشاد والتوفيق لأسباب النجاة منها، وذلك من خلال الهداية للعصمة من السيئات والإعانة والتوفيق للأعمال الصالحات، ولاحظ ما يتضمنه لازم سؤال الوقاية من النار من سؤال دخول الجنة، وعلل الاكتفاء بالطلب الأول تقديمًا للأولىٰ والأهم فقال: «**ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٦١).

المبحث السادس:
أسماء الله الحسنى(١)

◆ المطلب الأول: نماذج من تدبرات الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لأسماء الله الحسنى.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ذو عناية فائقة بملاحظة التناسب بين دلالات الأسماء الحسنىٰ ومعاني الآيات الواردة فيها، فيحرص علىٰ ذكر العلاقة بين ختم الآيات بالأسماء الحسنىٰ ودلالة الآية ومقصدها، وإبراز الترابط بينهما، فينشئ تكاملًا معنويًّا بقالب تدبري، ولا يقف عند هذا الحد، بل يتعداه ليسلط الضوء علىٰ وجه اختيار بعض الأسماء دون غيرها لختم الآية، فمثلًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢٩]، نراه يلاحظ ختم الآية بالاسمين الكريمين (الغفور) (الرحيم)، فيبدأ بذكر ما يتضمناه من دلالات فيقول: «**ثم ختم الآية باسمين كريمين دالَّين علىٰ سعة رحمته وعموم مغفرته وسعة إحسانه وعميم إحسانه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**»، ثم يذكر تأملًا دقيقًا وتدبرًا عميقًا ينبئ عن معايشة للآية واستشعار عالٍ للمعنىٰ، فيقول: «**ففيها أعظم بشارة بأن رحمته غلبت غضبه، ومغفرته غلبت مؤاخذته، فالآية فيها الإخبار عن حالة الخلق وأن منهم من يغفر الله له ومنهم من يعذبه**»، فبعد أن استشعر عظم المغفرة الإلهية والرحمة الربانية راح يتأمل أسرار

(١) القواعد الحسان: القاعدة التاسعة عشرة: الأسماء الحسنىٰ في ختم الآيات. (ص:٥٣)، والقاعدة الثلاثون: أركان الإيمان بالأسماء الحسنىٰ ثلاثة: إيماننا بالاسم، وبما دل عليه من المعنىٰ، وبما تعلق به من الآثار. (ص:٨٩).

التناسب في اختيار الاسمين الكريمين فيقول: «**فلم يختمها باسمين: أحدهما دالٌّ علىٰ الرحمة، والثاني دالٌّ علىٰ النقمة، بل ختمها باسمين كليهما يدل علىٰ الرحمة، فله تعالىٰ رحمة وإحسان سيرحم بها عباده لا تخطر ببال بشر، ولا يدرك لها وصف**»، ثم بعدها يترجم تدبره الوجداني إلىٰ انفعال دعائي فيقول: «**فنسأله تعالىٰ أن يتغمدنا ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين**»(١).

ويلاحظ دلالات الألفاظ وما تحمله من معان، ويلاحظ التقديرات الإعرابية وما يتفرع عنها من معان، ومن ذلك تأمله للفظ ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]، فنراه يفسر الآية مراعيًا معنىٰ لفظ ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ ووجهه الإعرابي؛ ويذكر له هنا معنيين وتقديرين، ففي الأول: جعل ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ بمعنىٰ المحمود (ذي الصفات الحسنة الحميدة)، وجعل إضافة الصراط إليه وصفًا تبعيًا فقال: «﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ **أي: الصراط المحمود، وذلك، لأن جميع الشرع كله محتوٍ علىٰ الحكمة والحمد، وحسن المأمور به، وقبح المنهي عنه، وهو الدين الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، المشتمل علىٰ العلم النافع والعمل الصالح**».

وفي الثاني: جعل ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ بمعنىٰ مستحق الحمد وأهله، وجعل إضافة الصراط إلىٰ مقدر يعود علىٰ الذات العلية، مستحضرًا في تقديره غالب استعمال القرآن ومعهوده في إضافة الصراط إلىٰ الله ﷻ(٢)؛ فقال: «**أو: (وهدوا إلىٰ صراط الله الحميد)، لأن الله كثيرًا ما يضيف الصراط إليه، لأنه يوصل صاحبه إلىٰ الله**»، ولما

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٤٦).

(٢) نحو: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٢٦]، ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَى صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦] ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٥٢-٥٣].

كان لفظ ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ على هذا التقدير يعود على الله ﷻ لم يبرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفسير الآية حتى بثَّ فيها تأملاته فقال: «**وفي ذكر ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ هنا، ليبين أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]»(١).

وكأني بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يرسم تكاملًا دلاليًّا بين المعنيين، فقوله: «**لأنه يوصل صاحبه إلى الله**» فيه إشارة إلى الهداية الأولى الحاصلة بالدلالة والإرشاد إلى صراط الله العزيز الحميد؛ كما في قوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقوله: «**ليبين أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]» فيه إشارة إلى الحمد على جزاء الهداية في الآخرة حين تلهج ألسنتهم بحمد الله على هدايته لهم لهذا الفوز والجنة؛ فله الحمد على الهداية الأولى، وله الحمد على جزاء هدايته في الآخرة، فله الحمد في الأولى والآخرة.

ويلاحظ دلالة الاسمين الكريمين (السميع) و(العليم)، ووجه مناسبة ختم الآية بهما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، فيقول: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ **أي: لجميع الأصوات في جميع الأوقات، في خفي المواضع والجهات،** ﴿عَلِيمٌ﴾ **بالظواهر والبواطن، والسوابق واللواحق، والواجبات والمستحيلات والممكنات. وفي ذكر الاسمين الكريمين -بعد**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٣٦)، وانظر: التبيان في إعراب القرآن؛ للعكبري (٢/ ٧٦٢)، والدر المصون (٧/ ٦٦-٦٧).

النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، والأمر بتقواه- حثٌّ علىٰ امتثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة، وترهيب عن عدم الامتثال»[(١)]، فلاحظ الشيخ أن الاسمين الكريمين يفيدان الترغيب بالعمل والامتثال، والترهيب من النكوص والنكال.

ومن ذلك تأمله سر اقتران الاسمين الكريمين (الودود) و(الغفور) في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، فقال: «**وفي هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾ بـ: ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾، ليدل ذلك علىٰ أن أهل الذنوب إذا تابوا إلىٰ الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين**[(٢)]»، ثم أتبع التأمل بانفعال سلوكي حيث لهج لسانه بالحمد والثناء لله ﷻ علىٰ عظيم بره وخيره وإحسانه ﷻ فقال: «**فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه**»[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٩٩).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في طريق الهجرتين (ص:٢٣٢-٢٣٣): «وهذا بخلاف ما يظنه من نقصت معرفته بربه من أنه سبحانه إذا غفر لعبده ذنبه فإنه لا يعود الود الذي كان له منه قبل الجناية. واحتجوا في ذلك بأثر إسرائيلي مكذوب أن الله قال لداود عليه السلام: يا داود، أما الذنب فقد غفرناه، وأما الود فلا يعود. وهذا كذب قطعًا، فإن الود يعود بعد التوبة النصوح أعظم مما كان، فإنه سبحانه يحب التوابين، ولو لم يعد الود لما حصلت له محبته، وأيضًا فإنه يفرح بتوبة التائب، ومحال أن يفرح بها أعظم فرح وأكمله وهو لا يحبه. وتأمل سر اقتران هذين الاسمين في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ [البروج: ١٣-١٤] تجد فيه من الرد والإنكار علىٰ من قال: لا يعود الود والمحبة منه لعبده أبدًا، ما هو من كنوز القرآن ولطائف فهمه، وفي ذلك ما يهيج القلب السليم ويأخذ بمجامعه ويجعله عاكفًا علىٰ ربه -الذي لا إله إلا هو ولا رب له سواه- عكوف المحب الصادق علىٰ محبوبه الذي لا غنىٰ له عنه، ولا بد له منه ولا تندفع ضرورته بغيره أبدًا».

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩١٨).

وهذا نابع مما قرره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بقوله: «**يختم الله الآيات بأسماء الله الحسنىٰ، ليدل علىٰ أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم وهذه القاعدة لطيفة نافعة، عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتدلك علىٰ أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته، ومرتبط بها، وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجَلِّ المعارف وأشرف العلوم**»(١).

◆ المطلب الثاني: اختلاف تدبر الاسم الحسن لاختلاف سياق الآية الوارد فيها.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عند تأمله فواصل الآيات المختومة بأسماء الله الحسنىٰ يربط بين مقتضىٰ الاسم ولوازمه وما تتضمنه الآيات من معان بحسب السياق الواردة فيه، وهذا المثال يسلط الضوء علىٰ تأمله الاسمين الكريمين (العزيز، الحكيم) في آيتين مختلفتين، ويظهر اختلاف تفسيرهما بحسب ما يستشفه من دلالة الآيات وما يناسبها من معاني الاسمين الكريمين، ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]؛ فسَّر العزة: بالقدرة وعدم العجز، وفسَّر الحكمة بالعدل والإنصاف والقسط، وهذا التفسير مبني علىٰ ملاحظته مجيء الآية في سياق المغفرة؛ فقال: «**فمغفرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ حيث كان من مقتضىٰ حكمتك أن تغفر لمن أتىٰ بأسباب المغفرة**»(٢).

وفي قوله تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]، فسَّر العزة بالقهر وخضوع الخلق وانقيادهم له سبحانه، وفسَّر الحكمة بالعلم

(١) القواعد الحسان: القاعدة التاسعة عشرة: الأسماء الحسنىٰ في ختم الآيات. (ص:٥٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٢٤٩).

ووضع الأمور في مواضعها اللائقة بها، وهذا التفسير مبني علىٰ ملاحظته مجيء الآية في سياق بيان الربوبية والعبودية له رب العالمين؛ فقال: «**فافتتح تعالىٰ هذه السورة بالإخبار أن جميع من في السماوات والأرض تسبح بحمد ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، وتعبده وتخضع لجلاله لأنه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي قد قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، ولا يستعصي عليه مستعص، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه وأمره، فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع ما لا مصلحة فيه، ولا يفعل إلا ما هو مقتضىٰ حكمته**»[(١)].

◆ المطلب الثالث: احتفاء الشيخ (عبد الرحمن) باسم الله (الرحمن).

كان لاسم الله (الرحمن) عناية خاصة واحتفاء زائد من لدن الشيخ عبد الرحمن السعدي، فاسمه المشرف بإضافته للذات العلية جعله يستصحبه في كل الآيات الوارد فيها، ويقف عنده ويتأمله، فمن ذلك تدبره لانتقاء القرآن الكريم اسم (الرحمن) للدلالة علىٰ الذات العلية من بين الأسماء الحسنىٰ، واستشعاره لما يحمله الاسم العظيم من الدلالات، وتدبره كذلك لتركيب الجملة وإضافة العصيان إلىٰ اسم (الرحمن)؛ وذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤] فقال: «**وفي ذكر إضافة العصيان إلىٰ اسم الرحمن، إشارة إلىٰ أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته**»[(٢)].

ويتأمل السر في اختيار اسم (الرحمن) من بين الأسماء الحسنىٰ في إضافة الآيات إليه في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]،

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٤٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٩٤).

فيقول: «**وفي إضافة الآيات إلىٰ اسمه (الرحمن) دلالة علىٰ أن آياته؛ من رحمته بعباده وإحسانه إليهم، حيث هداهم بها إلىٰ الحق، وبصَّرهم من العمىٰ، وأنقذهم من الضلالة، وعلَّمهم من الجهالة**»(١). فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لاحظ دلالة الاسم علىٰ الرحمة وما تتضمنه الرحمة من إيصال الخير إلىٰ المرحومين، وأي خير أعظم من نور الهداية؟ وأي رحمة أعظم من النجاة من النار؟

ويلاحظ النكتة من اختيار اسم (الرحمن) من بين الأسماء الحسنىٰ في إضافة الذكر إليه في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦] فيقول: «**وفي ذكر اسمه (الرَّحْمَنِ) هنا، بيان لقباحة حالهم، وأنهم كيف قابلوا الرحمن -مُسدي النعم كلها، ودافع النقم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا إياه- بالكفر والشرك**»(٢).

ويلاحظ إضافة الملك والتصرف المطلق يوم القيامة إلىٰ اسم (الرحمن)، ويستشعر ما في ذلك من دلالات فيقول عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦]، فقال: «**يخبر تعالىٰ عن عظمة يوم القيامة وما فيه من الشدة والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾.....، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أن أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه (الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمَّت كل حي، وملأت الكائنات، وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص وزال بها**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٩٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٢٣)، وانظر: جامع البيان (١٦/ ٢٧٠)، والجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (١١/ ٢٨٨).

كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة علىٰ الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها السبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم، وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك علىٰ الله إلا هالك، ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب»[1].

ومن ذلك تأمله السر في إضافة الوعد إلىٰ اسم (الرحمن) في قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] فقال: «**ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر علىٰ الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله:** ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الفرقان: ٢٦]، ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، **ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا**»[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٨١-٥٨٢)، وانظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٢١٣)، وتفسير سورة الفرقان؛ لابن عثيمين (ص: ٨٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٩٧)، وانظر: تفسير سورة يس؛ لابن عثيمين (ص: ١٨٨).

المبحث السادس:
آيات الأحكام

لآيات الأحكام علىٰ اختلاف تقسيماتها جانب من اهتمام الشيخ في تدبراته، فنراه يقف عند آيات الأحكام فيتأملها ويستخرج ما يتوصل إليه تفكيره من نتائج وفوائد، وهذان المطلبان يُجلِّيان شيئًا من تلك التدبرات:

◆ المطلب الأول: الأحكام الفقهية.

لا شك أن آيات الأحكام تشتمل علىٰ تشريعات وتوجيهات وأوامر للتنفيذ، غير أنها تزخر بالفوائد واللطائف التي تستحق التأمل والتدبر، وهو ما فعله الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فنراه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤]. يقول: «**دلت هذه الآية علىٰ أمور**»[(١)] وذكر منها عشرة أمور، فمنها:

«**الأول: لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يذكوه مما صادته الجوارح.**

الثاني: أنه يشترط أن تكون مُعلَّمة، بما يُعدُّ في العرف تعليمًا، بأن يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل.

الثالث: اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما، لقوله: ﴿مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾، مع ما تقدم من تحريم المنخنقة.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٢٢١) بتصرف يسير.

الرابع: جواز اقتناء كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح، مع أن اقتناء الكلب محرم، لأن من لازم إباحة صيده وتعليمه جواز اقتنائه.

الخامس: طهارة ما أصابه فم الكلب من الصيد، لأن الله أباحه ولم يذكر له غسلًا؛ فدلَّ على طهارته.

السادس: فيه فضيلة العلم، وأن الجارح المعلم -بسبب العلم- يباح صيده، والجاهل بالتعليم لا يباح صيده.

السابع: أن الاشتغال بتعليم الكلب أو الطير أو نحوهما، ليس مذمومًا، وليس من العبث والباطل. بل هو أمر مقصود، لأنه وسيلة لحل صيده والانتفاع به.

الثامن: فيه حجة لمن أباح بيع كلب الصيد، قال: لأنه قد لا يحصل له إلا بذلك.

التاسع: فيه اشتراط التسمية عند إرسال الجارح، وأنه إن لم يسم الله متعمدًا، لم يبح ما قتل الجارح.

العاشر: أنه يجوز أكل ما صاده الجارح، سواء قتله الجارح أم لا. وأنه إن أدركه صاحبه، وفيه حياة مستقرة فإنه لا يباح إلا بها».

◆ المطلب الثاني: الأحكام العقدية.

للشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ اهتمام واضح ببيان العقيدة السليمة، الصحيحة الصافية، فهو يتأمل الآيات القرآنية التي سيقت لمعالجة الجوانب العقدية ابتداءً ويذكر ما فيها من تدبرات، كما أنه يعمل فكره في الآيات التي تعالج جوانب أخرىٰ غير عقدية، ويستنبط من طياتها أحكامًا مبينًا عن وجه الاستنباط وأداته، ومن ذلك استدلاله علىٰ إثبات عذاب القبر بظاهر لفظ الآية وفحوىٰ خطابها وذلك

في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]، فقال: «**وهذه الآية من الأدلة علىٰ إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: بعض وجزء منه، فدلَّ علىٰ أن ثَمَّ عذابًا أدنىٰ قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار**»[(١)]. وهذا الاستدلال منه بمثابة رد علىٰ منكري عذاب القبر.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٥٦)، وانظر: الروح؛ لابن القيم (ص: ٧٦).

المبحث السابع:
أمثال القرآن

اتبع القرآن الكريم أسلوب ضرب الأمثال؛ ليقرب إلىٰ الأذهان الصورة المعنوية بالصورة الحسية، فجاء حافلًا بالأمثال التي تعد من أبرز مواطن تدبر القرآن الكريم واستخراج الحكم العظيمة منه، يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «**اعلم أن القرآن الكريم احتوىٰ علىٰ أعلىٰ وأكمل وأنفع المواضيع التي يحتاج الخلق إليها في جميع الأنواع، فقد احتوىٰ علىٰ أحسن طرق التعليم، وإيصال المعاني إلىٰ القلوب بأيسر شيء وأوضحه.**

فمن أنواع تعاليمه العالية: ضرب الأمثال، وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحد والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة. ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة، ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين. وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه»[(١)].

وقد تفطن لها إمامنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وقضىٰ معها أوقاتًا أخرج لنا من بدائع التدبر القرآني جملة نبرز منها ما يلي:

تدبره المثل الوارد لتصوير حقيقة الحياة الدنيا؛ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ

(١) القواعد الحسان: القاعدة الثانية والعشرون: في مقاصد أمثلة القرآن. (ص:٦٤).

نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤]؛ فنجده يستحسن المثل المضروب، وتروق له الصورة الحسية المنصوبة للدلالة على حقيقة الحياة الدنيا فيقول: «**وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا**»، وهذا الانفعال الوجداني والتأثر الشعوري أحد النتائج المرجوة والآثار المترتبة على تدبر القرآن الكريم.

ثم راح يحدق في العلاقة بين الصورة الحسية والمعنوية، ويتأمل الاشتراك بينهما، فقال مستشعرًا حقيقة الحياة الدنيا: «**فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إنْ زها وقتًا قصيرًا، فإذا استكمل وتم اضمحلَّ، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها**».

ثم عقب ذلك مشيرًا إلى وجه الاشتراك بين الممثل له والممثل به فقال: «**فذلك** ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾..... ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ **أي: تزخرفت في منظرها، واكْتَسَت في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبصرين، فصِرْتَ ترى لها منظرًا عجيبًا، ما بين أخضر وأصفر وأبيض وغيره،** ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ **أي: حصل معهم طمع، بأن ذلك سيستمر ويدوم، لوقوف إرادتهم عنده، وانتهاء مطالبهم فيه، فبينما هم في تلك الحالة** ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ **أي: كأنها ما كانت، فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء**».

وختم تأملاته ببيان وجه مناسبة المثل للآية بعد فقال: «**ولما ذكر الله حال الدنيا، وحاصل نعيمها، شوق إلى الدار الباقية فقال:** ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ

وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [يونس: ٢٥]»[(١)].

ومن ذلك تدبره للمثل القرآني المصور حال الكافرين في دعائهم الأنداد من دون الله وعدم استجابتها لهم، الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [الرعد: ١٤]، فقال: «**وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلىٰ الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق علىٰ المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء؛ كما قال تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: ٤٠]»[(٢)]، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لاحظ معنىٰ المثل والصورة التشبيهية فيه، وأوضح أوجه العلاقة بين المشبه والمشبه به، ثم ختم بذلك بأن عد هذا المثل من أحسن الأمثلة؛ لمجيئه بأبلغ أسلوب في النفي، وهو التعليق علىٰ المحال؛ لانقطاع الرجاء من حدوثه، وفقدان الأمل من حصوله.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٦١-٣٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤١٥)، وانظر: الكشاف (٢/ ٥٢١)، وأنوار التنزيل (٣/ ١٨٤)، والبحر المحيط (٦/ ٣٦٨)، وإرشاد العقل السليم (٥/ ١١).

المبحث الثامن:
القصة القرآنية[1]

القصة القرآنية بملابساتها وحيثياتها ودلالاتها مرتع خصب ومجال رحب لتدبر ألفاظها وعباراتها وأساليبها، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عاش مع القصص القرآني، فاستفاد من عبرها، وارتشف من عبيرها، وتدبر أحداثها ومواعظها، ونشر ذلك في تفسيره.

فنراه يقف مع قصة يوسف ويسطر ما توصل إليه من نتائج تأملية وملاحظات تدبرية، ويسهب فيها، ويذكر كل ما لاح له من معان، وما جال في خاطره من دلالات، فعقد لذلك فصلًا في ست صفحات[2] فقال: «**فصلٌ في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة التي قال الله في أولها:** ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، **وقال:** ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، **وقال في آخرها:** ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]، **غير ما تقدم في مطاويها من الفوائد. فمن ذلك: أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلىٰ حال، ومن محنة إلىٰ محنة، ومن محنة إلىٰ منحة ومنَّة، ومن ذل إلىٰ عزٍّ، ومن رقٍّ إلىٰ مُلك، ومن فرقة وشتات إلىٰ اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلىٰ سرور، ومن رخاء إلىٰ جدب، ومن جدب إلىٰ رخاء، ومن ضيق إلىٰ سعة، ومن إنكار إلىٰ إقرار**». ولا تخلو تدبراته من

(١) القواعد الحسان: القاعدة الستون: أنواع التعليم القصصي في القرآن. (ص١٤٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠٧-٤١٢).

انفعال وجداني واستشعار لعظمة هذا القرآن فيقول: «**فتبارك من قصَّها فأحسنها، ووضَّحها وبيَّنها**».

ويقف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مع أحداث القصة القرآنية ومشاهدها مواقف تأملية تدبرية، يُحلِّق فيها بفكره ويغوص فيها بروحه وعقله، فيستشعر فيها أدقَّ المعاني، ويصدر عن نتائج باهرة توحي بعمق النظر ودقة الفهم، فملاحظته ألطاف العناية الإلهية والتدابير الربانية لنبي الله يوسف عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤] تنبئ عن بصر ثاقب دقيق، وفهم بالغ عميق، فنراه يقول عند تفسير الآية: «**وهذا أيضًا من لطف الله بيوسف** عليه السلام. **فإنه لو عبرها ابتداءً قبل أن يعرضها علىٰ الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتمًّا لها غاية، فعبرها يوسف وقعت عندهم موقعًا عظيمًا**»، وهذا التأمل منه في هذا المشهد نابع من ملاحظته مشاهد العناية الإلهية بأوليائه الصالحين الواردة في القرآن الكريم فيضم النظير إلىٰ نظيره ويقرن المثيل بمثيله؛ فيقول: «**وهذا نظير إظهار الله فضل آدم علىٰ الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا. ثم سأل آدم، فعلَّمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد** صلى الله عليه وسلم **في القيامة أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ** عليهم السلام**، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمدًا** صلى الله عليه وسلم **فيقول: «أنا لها أنا لها»؛ فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون. فسبحان من خفيت ألطافه، ودقَّت في إيصاله البر والإحسان، إلىٰ خواص أصفيائه وأوليائه**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٩٩).

ويقف عند قصة موسىٰ عليه السلام مع الخضر، ويستنتج منها الكثير من الفوائد والأحكام والدروس والعبر في أربع صفحات فيقول: «**وفي هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه علىٰ بعضه بعون الله، فمنها: فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسىٰ عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم علىٰ ذلك. ومنها: البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل**»[(١)].

ومن ذلك تدبره الأحداث الواقعة في قصة سبأ، فنراه هنا يستشعر لطف الله ﷻ بالخلق عمومًا وبالعرب خصوصًا؛ حين يقص عليهم قصص الأمم الغابرة والأقوام الداثرة، فقال: «**ومن نعم الله ولطفه بالناس عمومًا، وبالعرب خصوصًا، أنه قص في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعىٰ إلىٰ التصديق، وأقرب للموعظة فقال:** ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ [سبأ: ١٥]».

ثم نراه يستشعر أيضًا لازم النعمة وما يتوجب علىٰ العبد فعله تجاه العطايا الإلهية والمنح الربانية؛ إذ إن النعم إذا شُكِرت قرَّت، وإذا كُفِرَت فرَّت، فقال: «**والآية هنا: ما أدرَّ الله عليهم من النعم، وصرف عنهم من النقم، الذي يقتضي ذلك منهم، أن يعبدوا الله ويشكروه**».

وفي نهاية القصة نراه يقف مع قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ:١٩]، وينبه علىٰ أن القصص القرآني بما تضمنه من تفاصيل وأحداث

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٨٢-٤٨٥).

وعبر ومواعظ لا ينتفع بها إلا من اتصف بالصبر علىٰ الشدائد، والرضا بالقدر، وشكر النعمة وتسخيرها لطاعة الله ﷻ، وأن كفر النعمة وسلوك سبيل المعاندين الجاحدين سبيل لحلول مثل ما حلَّ بهم من العذاب والنكال في العاجل والمآل، فقال: «**فكل أحد يتحدث بما جرىٰ لهم، ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلا من قال الله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، ﴿صَبَّارٍ﴾ علىٰ المكاره والشدائد، يتحملها لوجه الله، ولا يتسخطها بل يصبر عليها، ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمة الله تعالىٰ؛ يُقِرُّ بها ويعترف، ويثني علىٰ من أولاها، ويصرفها في طاعته.**

فهذا إذا سمع بقصتهم، وما جرىٰ منهم وعليهم، عرف بذلك أن تلك العقوبة، جزاء لكفرهم نعمة الله، وأن من فعل مثلهم، فُعِلَ به كما فعل بهم، وأن شكر الله تعالىٰ، حافظ للنعمة، دافع للنقمة، وأن رسل الله صادقون فيما أخبروا به، وأن الجزاء حق، كما رأىٰ أنموذجه في دار الدنيا»[(١)].

ومن ذلك تأمله للعبر الواردة في قصة سليمان عليه السلام بعد أن عقر الصافنات الجياد فقال: «..... **ومنها: القاعدة المشهورة «من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه»، فسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديمًا لمحبة الله، فعوَّضه الله خيرًا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلىٰ حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار علىٰ الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون**»[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٧٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧١٢)، وانظر: القواعد: القاعدة التاسعة والستون: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه. (ص: ١٦٤).

المبحث التاسع:
مشكل القرآن

للشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عناية بعلم المشكل، فيتأمل الآيات التي ظاهرها التعارض، ويجيب عن الإشكالات الواقعة فيها، ويدفع ما فيها من إيهام اضطراب، فيجلي الحقائق ويوضح الدلالات، فتراه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ٩-١١]؛ يتعرض لدفع الإشكال المتوهم بين هذه الآيات وآية النازعات في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، فآيات فصلت تشير إلىٰ أن خلق الأرض متقدم علىٰ خلق السماوات، وآية النازعات تشير إلىٰ أن دحو الأرض كان بعد خلق السماوات، فبعد أن أشار إلىٰ الإشكال، أخذ يدفعه مستندًا إلىٰ دقة القرآن في التعبير، وإلىٰ الفرق بين الدحو والخلق، فقال: «**واعلم أن ظاهر هذه الآية، مع قوله تعالىٰ في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال:** ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] **يظهر منهما التعارض، مع أن كتاب الله، لا تعارض فيه ولا اختلاف. والجواب عن ذلك، ما قاله كثير من السلف، أن خلق الأرض وصورتها متقدم علىٰ خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن** ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣١-٣٢] **متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات، ولهذا قال فيها:** ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ [النازعات: ٣٠-٣١] **إلىٰ آخره، ولم يقل: (والأرض بعد ذلك خلقها)**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٤٥-٧٤٦)، وانظر: دفع إيهام الاضطراب؛ للشنقيطي (ص:١١).

المبحث العاشر:
المناسبات القرآنية

أولىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ علم المناسبات عناية فائقة في تفسيره، فتراه يقف مع الآيات ويشير إلىٰ أوجه الاتصال بينها ويبرز العلاقات ويوضحها، وثمة آيات لا تظهر مناسبتها إلا لمن ذكت قريحته، وتفتقت أفهامه عن تدبر عميق واستيعاب بليغ، وقد ضمن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفسيره نماذج منها، ومطالب هذا المبحث تبرز جوانب منها:

◆ المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للآيات.

للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عناية بتأمل الوحدة الموضوعية للآيات، ويمد جسورًا تدبرية بين دلالاتها؛ فمثلًا: لاحظ أن قوله تعالىٰ في الآيتين الكريمتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] يتضمن أوجه انحراف الإنسان في ماله، وجعلهما الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في أحد أمرين فقال: «**إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعًا، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين علىٰ طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله، وإما أن يمسك ماله عن إخراجه في الواجبات**»[(١)]، فجعل الانحراف في الإنفاق علىٰ محرم، أو في الإمساك عن واجب.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٣٦).

المطلب الثاني: الآيات الكونية ودلائل قدرة الله ﷻ.

راعىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في اختياره المقاطع المراد تفسيرها أن تشتمل علىٰ وحدة موضوعية واحدة، ومن ذلك هذا المقطع المشتمل علىٰ الآيات الكونية العظيمة ودلائل القدرة الباهرة، إذ يقول ربنا ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦١-٦٥]، فنجد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذا المقطع ينحو منحىً تدبريًّا مغايرًا لمنهجه التفسيري البياني، والمتأمل لعبارات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ -هنا- يجد الصبغة التدبرية طاغية علىٰ الصبغة التفسيرية، ومن ذلك ابتداؤه الحديث عن الآيات بقوله: «**تدبر**»؛ فقال: «**تدبر هذه الآيات الكريمات، الدالة علىٰ سعة رحمة الله تعالىٰ وجزيل فضله، ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء، وكمال حياته، واتصافه بالحمد علىٰ كل ما اتصف به من الصفات الكاملة، وما فعله من الأفعال الحسنة، وتمام ربوبيته، وانفراده فيها، وأن جميع التدبير في العالم العلوي والسفلي في ماضي الأوقات وحاضرها، ومستقبلها بيد الله تعالىٰ، ليس لأحد من الأمر شيء، ولا من القدرة شيء**».

ثم أشار إلىٰ جملة من النتائج الملازمة لمعرفة صاحب تلك الصفات العظيمة والآلاء الجسيمة، فذكر منها: وجوب استحقاقه مسمىٰ الإله، ووجوب استحقاق

للعبادة التي لا ينبغي أن تصرف إلا إليه ﷻ فقال: «**فينتج من ذلك، أنه تعالىٰ المألوه المعبود وحده، الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئًا، كما لم يستحق من الربوبية شيئًا**»، وهذه النتيجة فيها استشعار لجلال الله ﷻ وعظمته، وفيها دعوة للخضوع والانقياد له ﷻ.

وأشار إلىٰ تأثير تلك المعرفة في قلب المؤمن فقال: «**وينتج من ذلك، امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالىٰ ومحبته وخوفه ورجائه**»، ثم استشعر أهمية معرفة الله ﷻ وعبادته؛ فقال: «**وهذان الأمران -وهما معرفته وعبادته- هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالىٰ لعباده، وهما الموصلان إلىٰ كل خير وفلاح وصلاح، وسعادة دنيوية وأخروية**»، ثم هاجت أحاسيسه فلهج لسانه بالدعاء والتضرع لله ﷻ أن يوفقه إلىٰ القيام بحق الله ﷻ من المعرفة والعبادة فقال: «**فنسأله تعالىٰ أن يملأ قلوبنا بمعرفته ومحبته، وأن يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة، خالصة لوجهه، تابعة لأمره، إنه لا يتعاظمه سؤال، ولا يحفيه نوال**»[1]. وهذا الدعاء أحد ألوان التدبر العملي لآيات القرآن الكريم، ففيه استشعار لمعنىٰ الآيات، وامتثال مضمونها سلوكًا عمليًّا.

◆ المطلب الثالث: السياق.

يلاحظ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سياق الآيات، ويربط بين السباق واللحاق، فنراه مثلًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] والآية التي تليها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، يجعل الأولىٰ كالمقدمة للثانية؛ فهي توطئة وتمهيد لها، فيقول عند تفسير الأولىٰ: «﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٤١).

﴿ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتىٰ إنه تعالىٰ يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتىٰ إنه تعالىٰ يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية، وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصىٰ». فالآية التالية فيها بيان القرآن الكريم أصول المأمورات وأصول المحرمات بأوجز الكلمات وأخصر العبارات، فهي كالمثال علىٰ بلاغة القرآن وعظمته، حيث يقول: «فصارت هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة علىٰ عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربىٰ فهي مما أمر الله به. وكل مسألة مشتملة علىٰ فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهىٰ الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهىٰ عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال». ويختم هذا التأمل بانفعال تعجبي فيقول: «فتبارك من جعل في كلامه الهدىٰ والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء»[(١)].

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره يحاول أن يضمن الألفاظ أغلب ما تحتمله من معان، ويلاحظ ما يكون فيها من عموم، ولا يقف عند هذا الحد، بل يتأمل السياق

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٤٦- ٤٤٧)، وانظر: نظم الدرر (١١/ ٢٣٥)، والبحر المحيط (٦/ ٥٨٢).

الواردة فيه ويتدبره، ويحاول أن يستشف وجه المناسبة والعلة في مجيئها في ذلك السياق، فنراه عند تفسير لفظي (الخبيثات) و(الخبيثين) في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور: ٢٦] يقول: «**أي: كل خبيث من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للخبيث وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، وكل طيب من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للطيب وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه شيء**»[(١)]؛ فجعل الخبث يشمل كل ما يمكن أن يندرج تحته من أقوال يصح حمل الآية عليها، وهو بهذا الصنيع يقدم بمقدمة تأسيسية ليبني عليها تدبره الآتي من التأكيد علىٰ براءة أم المؤمنين عائشة ﵂، فيقول: «**.... من أعظم مفرداته، أن الأنبياء -خصوصًا أولي العزم منهم، خصوصًا سيدهم محمد ﷺ، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق علىٰ الإطلاق- لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة ﵂ بهذا الأمر قدح في النبي ﷺ، وهو المقصود بهذا الإفك من قَصْدِ المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول ﷺ، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح. فكيف وهي هي؟ صِدِّيقة النساء، وأفضلهن وأعلمهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم ينزل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها!**»[(٢)].

ومن ذلك بيانه مناسبة مجيء قوله تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦] بعد المثل القرآني: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥]،

---

(١) قال ابن القيِّم: «هذا وإنْ كان في النِّساءِ والرِّجالِ، فإنَّه يتناوَلُ الأعمالَ والأقوالَ، والمطاعِمَ والمشارِبَ، والملابسَ والروائحَ، إمَّا بعمومِ لفظِه، أو بعمومِ معناه». زاد المعاد؛ لابن القيم (٤/ ٢٥٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٦٣)، وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٤/ ٨٤).

فبعد أن تأمل المثل، وكشف عن دلالة كل عنصر من عناصره، وأوضح عن أوجه العلاقة بين المشبه والمشبه به، وأسقطه على حالة المؤمن فقال: «**ووجه هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره**»، ثم أزاح الستار عن تأمله فقال: «**ولما كان نور الإيمان والقرآن أكثر وقوع أسبابه في المساجد، ذكرها منوها بها فقال:** ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾»[(١)].

◆ المطلب الرابع: التقديم والتأخير.

يلاحظ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ علة تقديم الألفاظ، ويبين وجه مناسبتها للسياق الوارد فيها، فنراه يلاحظ علة تقديم الطواف على الاعتكاف والصلاة -مع أفضلية الصلاة- في قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ويشير إلى تأمل لطيف فيقول: «**قدم الطواف، لاختصاصه بالمسجد الحرام، ثم الاعتكاف، لأن من شرطه المسجد مطلقًا، ثم الصلاة، مع أنها أفضل، لهذا المعنى**»[(٢)]، وذكر نحوه

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٥)، وانظر: البحر المحيط (١/ ٦١٢)، ومحاسن التأويل؛ للقاسمي (١/ ٣٩٥).

عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] فقال: «**وقدم الطواف علىٰ الاعتكاف والصلاة، لاختصاصه بهذا البيت، ثم الاعتكاف، لاختصاصه بجنس المساجد**»(١).

◆ المطلب الخامس: العطف.

العطف بأنواعه محط اهتمام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وموضع تدبره، فيتأمل أسرار العطف بين الجمل، ويجلي ملامح التناسق بينها، ويبرز العلاقات والوشائج الكامنة بينها، فنراه يلاحظ أسرار اختيار القرآن الكريم لجملة من صفات عباد الرحمن، واقتصاره في مدحهم عليها دون غيرها مع كثرة أوصافهم، في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، فيربط بينها بعلاقة جامعة منطلقًا من مقاصد الشريعة بحفظ الضروريات الخمس، ويصدر عن تأمل وتدبر يسطره بقوله: «**ونصَّ تعالىٰ علىٰ هذه الثلاثة؛ لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض**»(٢).

ونراه كذلك يتدبر تركيب العبارات وتسلسل عطف الألفاظ واقترانها في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ [القصص: ٣١]، فقد لاحظ عطف النهي عن الخوف علىٰ الأمر بالإقبال، كما لاحظ تأكيد الجملة بالبشرىٰ

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٣٧)، وانظر: تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (٥/ ٤١٣)، وروح المعاني (٩/ ١٣٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٨٧)، وانظر: إعلام الموقعين (٢/ ٨٣)، ومجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٤٢٨).

بدوام الأمن، فقال: «**وهذا أبلغ ما يكون في التأمين، وعدم الخوف**». ثم شرع في بيان وجه البلاغة بما توصل إليه من تأمل وتدبر في تركيب الآية فقال: «**فإن قوله: ﴿أَقۡبِلۡ﴾ يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله، وهو لم يزل في الأمر المخوف، فقال: ﴿وَلَا تَخَفۡۖ﴾، أمر له بشيئين: إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقىٰ احتمال، وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فقال: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه**»[(١)].

ومن ذلك بيانه العلاقة بين المعطوفات في قوله تعالىٰ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]، فقسمها إلىٰ عموم وخصوص، وأبان عن أوجه الترابط بينها، والعلة في إيرادها، فحمل الإنابة والتقوىٰ علىٰ العموم، فجعل الإنابة بيانًا لإقامة الوجه للدين فقال: «﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ﴾، **وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالىٰ**»، وكشف عن العلاقة بين التقوىٰ والإنابة، وما بينهما من تلازم؛ فقال: «**ويلزم من ذلك حمل البدن بمقتضىٰ ما في القلب فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة؛ فلذلك قال: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات**». ثم راح يميط اللثام عن علة تخصيص الأمر بإقامة الصلاة والنهي عن الشرك بعد الأمر بالإنابة والتقوىٰ مع كونهما يندرجان تحتهما؛ فبدأ ببيان علة تخصيص الأمر بالصلاة من بين المأمورات فقال: «**وخص من المأمورات الصلاة؛ لكونها تدعو إلىٰ الإنابة والتقوىٰ**»؛ واستدل لذلك

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦١٥).

بآية كريمة تنطبق على معنى الآية انطباقًا تامًا فتشمل الأمر بالإنابة والتقوى؛ فقال: «**لقوله تعالى:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، **فهذا إعانتها على التقوى.** ثم قال: «﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] **فهذا حثُّها على الإنابة**»، ثم ذكر على تخصيص النهي عن الشرك من بين المنهيات، واستدل لها بمفهوم المخالفة، وهي أن الشرك نقيض الإنابة ومضاد له؛ واجتناب الشرك هو أعلى درجات التقوى وأساس قبول الاعمال الصالحة ومن أولاها الصلاة، فقال: «**وخصَّ من المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو الشرك فقال:** ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ **لكون الشرك مضادًا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه**»[(١)].

وللشيخ عناية خاصة ببيان العلاقة بين الجمل المتعددة في الآية الواحدة، فيتدبر معانيها ويمد وشائج وصلات بينها؛ فيكشف عن علاقة خفية بين جمل ظاهرها التباين الموضوعي، ويجلي قوة الترابط بينهما، حتى يظهر كمال الاتصال وشدة السبك بينها، ومن ذلك تأمله قول الله ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، ففي هذه الآية ثلاث جمل: أمر: ﴿فَٱصْبِرْ﴾، وخبر: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، ونهي: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، والناظر إليها للوهلة الأولى يجد بينها تباينًا موضوعيًّا، إلا أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفطن لعلاقة بينها، فربط بين جملة الأمر وجملة الخبر، وربط كذلك بين جملة الأمر وجملة النهي، فجعل العلاقة بين الأمر والخبر علاقة ارتكازية؛ فبدأ ببيان المراد بجملة الصبر فقال: «﴿فَٱصْبِرْ﴾ **على ما أمرت به وعلى دعوتهم إلى الله، ولو رأيت منهم إعراضًا فلا**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٤١).

يصدنك ذلك»، وجعل جملة الخبر دافعًا ومحفزًا ومعينًا على تنفيذ الأمر؛ فقال: «﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ **أي: لا شك فيه، وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع؛ بل سيجده كاملًا؛ هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير**».

وجعل العلاقة بين الأمر والخبر علاقة متعدية تكاملية، فالصبر دليل على قوة اليقين، واليقين دليل لرزانة العقل، وقوة الصبر من قوة اليقين ورزانة العقل، وهي مشعرة بقوة الإيمان وصدق التوكل على الله، وفي ذلك تعريض بالقوم الكافرين بأنهم سفهاء الأحلام عديمو الصبر، فقال: «﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ **أي: قد ضعف إيمانهم، وقلَّ يقينهم؛ فخفت لذلك أحلامهم وقلَّ صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء، فإنك إن لم تجعلهم منك على بال وتحذر منهم؛ وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدهم على هذا وتطلب التشبه والموافقة، وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه، فالأول بمنزلة اللُّب، والآخر بمنزلة القشور، فالله المستعان**»[(١)].

ومن ذلك ملاحظته لمرجع الضمير، وما يناسبه في العود؛ ففي قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]؛ لاحظ أن الضمير (هاء الكناية) يتكرر مع ثلاثة أفعال، يتفاوت رجوع الضمير فيها إلى الذوات، فيختص ببعضها دون الآخر، ويصدق على بعضها ويمتنع مع الآخر، فأعاد كل ضمير لما يصلح إليه، وقسم ذلك وفق اعتبارات فقال: «﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٤٥).

أي: بسبب دعوة الرسول لكم، وتعليمه لكم ما ينفعكم، أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله، المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور. ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه، أي: تعظموه وتجلُّوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبحوا الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها»[(١)]، والمتأمل لصنيع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تقطيع الآية للتفسير يجد أنه قرن التعزير والتوقير في مقطع، والتسبيح في مقطع، وهو بهذا الصنيع يشير إلىٰ مواضع الوقف في الآية[(٢)].

ومن ذلك بيانه المناسبة في اقتران العطف في الإنزال بين الكتاب والحديد في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فيقول: «**وقرن تعالىٰ في هذا الموضع بين الكتاب والحديد، لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي كلمته بالكتاب الذي**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٩٢).

(٢) قال الداني: «﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ كافٍ، وهو للنبي ﷺ وما بعده لله تعالىٰ إذ التسبيح لا يكون إلا لله ﷻ»، وقال السجاوندي: «﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: ط؛ للفصل بين ضمير اسم الله تعالىٰ في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾، وضمير اسم رسوله في ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾»، قال الأشموني: «ووقف أبو حاتم السجستاني ..... علىٰ ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ فرقًا بين ما هو صفة لله وبين ما هو صفة للنبي ﷺ ووسمه بالتام، وقال: لأن التعزير والتوقير للنبي ﷺ والتسبيح لا يكون إلا لله تعالىٰ». المكتفىٰ؛ للداني (ص: ٥٢٨)، وعلل الوقوف؛ للسجاوندي (٣/ ٩٥٥)، ومنار الهدىٰ؛ للأشموني (ص: ٣٦٤).

فيه الحجة والبرهان والسيف الناصر بإذن الله، وكلاهما قيامه بالعدل والقسط، الذي يستدل به على حكمة الباري وكماله، وكمال شريعته التي شرعها على ألسنة رسله»[(١)].

◆ المطلب السادس: التسلسل المنطقي في عرض المعلومة.

ومن ذلك تأمله لبناء مجموعة من الآيات التي تتحدث عن نزول القرآن الكريم، فيلاحظ مجيئها بأسلوب العرض التسلسلي وفق ترتيب منطقي ينطوي على بيان لفضائل القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، فيقول: «**وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بُضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين**»[(٢)].

◆ المطلب السابع: الوحدة الموضوعية للسورة.

تشتمل كل سورة من القرآن الكريم على مقاصد عظيمة وأهداف رئيسة، تتضافر آيات السورة على تحقيقها وإبرازها، فالناظر في آيات السورة الواحدة يلمح اتصالًا عجيبًا وتناغمًا فريدًا بين آياتها، فهي تنتظم بعلاقات ومناسبات قوية وروابط تصب جميعها في مضمون السورة العام وهدفها الرئيس، والشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تَفَطَّن إلى تلك

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٤٢)، وانظر: مفاتح الغيب (٢٩/ ٤٧٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٩٧)، وانظر: جامع البيان (١٧/ ٦٤٢، ٦٤٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٤٣)، ونظم الدرر (١٤/ ٩٧).

العلاقات وتدبرها، ووقف عندها وتأملها وضمنها تفسيره، فمن ذلك تدبره آيات سورة العصر؛ فبدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بتفسير غريب السورة وبيان المعنىٰ الإجمال لها فقال: «**أقسم تعالىٰ بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح**»، ثم شرع في بيان مراتب الخسارة فقال: «**والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم، وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمَّم الله الخسار لكل إنسان**»، ثم عرج علىٰ سبل النجاة من الخسارة فقال: «**ولهذا عمَّم الله الخسار لكل إنسان إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به. والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة.**

والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

والتواصي بالصبر علىٰ طاعة الله، وعن معصية الله، وعلىٰ أقدار الله المؤلمة».

ثم أوضح العلاقة بين الصفات الأربع فقال: «**فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره**»، ثم أشار إلىٰ العلاقة بين الآية وآيات السورة فقال: «**وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم**»[1].

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لاحظ الوحدة الموضوعية للسورة، ونصب وشائج

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩٣٤).

بين دلالات آياتها، فاستطاع من خلال تدبره التقسيمات الواردة في السورة أن يبرز هدفها في أسمىٰ صورة وأبسط عبارة، فكان تدبره عبارة عن تأمل للمعاني، ومد للوشائج بينها، وإبراز للعلاقة الكامنة فيها.

المطلب الثامن: الاقتران.

ومن ذلك ملاحظته اقتران الصلاة والزكاة علىٰ عادة القرآن في الجمع بينهما في السياق الواحد فيقول: «**وكثيرًا ما يجمع تعالىٰ بين الصلاة والزكاة في القرآن نحو:** ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]، **لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان علىٰ عبيده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠)، وانظر: مفاتح الغيب (٢/ ٢٦٩).

المبحث الحادي عشر:
دلالات الآيات

تحمل كل آية من آيات القرآن الكريم في طياتها رسائل وفوائد وهدايات، يتفطن إليها المتأمل فيها بحسب ما حباه الله من علوم ومعارف وملكات، فكلما أدار الناظر فكره في الآيات مستعينًا في فهمها بما لديه من أدوات تفتقت له عن أدق التدبرات وأبدع الاستنباطات، والشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ جال بفكره في آيات القرآن الكريم وحدق فيها ودقق، وتبحر فيها وتعمق، واستخرج منها دررًا ونفائس، ومطالب هذا المبحث تبين نماذج من ذلك:

◆ المطلب الأول: نموذج استنباط بدلالة السياق.

فمن ذلك ما استنبطه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، فيقول عند تفسير قوله تعالىٰ: «﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] **وهذا إسماعيل عليه السلام بلا شك**»، ويرتكز في استنباطه إلىٰ السياق ودلالة الوصف بالحلم ﴿حَلِيمٍ﴾، فأما السياق: فقوله: «**فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق -حيث قال ﷻ بعدها بآيات:** ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]-، **فدل علىٰ أن إسحاق غير الذبيح**»[(١)]، وأما وجه دلالة الوصف بالحلم علىٰ أنه إسماعيل عليه السلام، فقوله:

(١) في النص الأصلي: «فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق، ولأن الله تعالىٰ قال في بشراه بإسحاق: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ١٧] فدل علىٰ أن إسحاق غير الذبيح»، ويظهر الاستشهاد بآية هود، ولعل ذلك سبق قلم أو سبق لسان من الشيخ رحمه الله، والأظهر ما أثبته.

«ووصف الله إسماعيل، عليه السلام، بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنىٰ»[1].

المطلب الثاني: نموذج استنباط بدلالة الاقتران.

ومن ذلك ما يستنبطه من معايشته للسور القرآنية، فيتأمل عباراتها وألفاظها، ويلاحظ تكرار بعض الأوصاف فيها، فيتفطن إلىٰ الإشارات التي تحملها، ففي قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، لاحظ أن القوم الممدوحين يستمعون إلىٰ الأقوال فيتبعون منها قولًا وصف بأنه أحسن الأقوال، ولاحظ في الآيات بعد أن الله عز وجل وصف كتابه الكريم بأنه أحسن الحديث، فتنبه الشيخ رحمه الله تعالىٰ إلىٰ تكرار أفعل التفضيل ﴿أَحْسَنَ﴾ في وصف القول والحديث بالحسن، وأشار إلىٰ سر ذلك بقوله: «**وفي هذه الآية -يعني قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾- نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلىٰ معرفة أحسنه حتىٰ نتصف بصفات أولي الألباب، وحتىٰ نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الألباب؟ قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] الآية**»[2].

◆ ◆ ◆

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٠٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٢٢).

المطلب الثالث: نموذج استنباط بدلالة العطف.

ومن ذلك ملاحظته أن عطف ولاية خواص الخلق من الملائكة الأبرار والمؤمنين الأخيار علىٰ ولاية الله العزيز الغفار في سياق الإخبار عن العناية الإلهية بالنبي الكريم ﷺ، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ﴾ [التحريم: ٤]؛ يحمل ثناء واحتفاء بالنبي ﷺ فقال: «**وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه الكريمة، وخواص خلقه، أعوانًا لهذا الرسول الكريم**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٧٢).

المبحث الثاني عشر:
الآيات ذات الأوصاف والمسميات.

كثيرة هي الآيات القرآنية ذات المسميات والأوصاف، وبعضها توقيفي والآخر اجتهادي، وفي أطلاق الأوصاف والمسميات علىٰ الآيات مندوحة لمن أراد بشرطه المعتبر، والشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يطلق بعض المسميات والأوصاف علىٰ الآيات، وهاك عرضًا لنموذجين من ذلك:

◆ المطلب الأول: النموذج الأول: أعظم وعيد ورد في الذنوب.

ومن ذلك ما وصف به قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] من أنه يتضمن أعظم وعيد في القرآن جاء علىٰ اقتراف ذنب من الذنوب، فنراه يتدبر آيات الوعيد وما تحمل في طياتها من تحذيرات وتهديدات، ويلاحظ الأساليب الواردة فيها، ويقارن بينها في الشدة والتأكيد وعظم الوعيد، ويخلص إلىٰ إصدار حكم ترتيبي بحسب موازنته بين الأساليب، فيقول: «**وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل علىٰ شناعة أكل أموال اليتامىٰ وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدلَّ ذلك أنها من أكبر الكبائر**» فلاحظ أن الآية تتضمن عذابًا داخليًا وعذابًا خارجيًا، الأول في البطون والثاني بصَلْيِ الجلود، أو أن لهم عذابين؛ عذابًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة. ثم تمخَّض استشعاره لعظم الوعيد والزجر الشديد في الآية إلىٰ سؤال الله العافية فقال: «**نسأل الله العافية**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٦٥).

المطلب الثاني: النموذج الثاني: أصل في محاسبة العبد نفسه.

ومن ذلك إطلاقه بعض التسميات على الآيات الجامعة، فقد لاحظ أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨] فيه دعوة للنظر في العاقبة والمآل، وهذا يستلزم النظر في الحال، بتفقده وإصلاحه، وتقييمه وتقويمه، فجعل الآية أصلاً في محاسبة العبد نفسه وتفقدها فقال: «**وهذه الآية الكريمة ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٥٣).

الخاتمة

في نهاية هذا المشوار البحثي يمكن الخلوص إلىٰ جملة من النتائج، وهي:

١- قدم الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفسيره: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» بقالب تدبري قَلَّ نظيره بين كتب التفاسير.

٢- مفهوم التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ شامل لأركان العملية البيانية للقرآن الكريم من: التفسير، والتدبر، والاستنباط، وقد جعل الشيخ التفسيرَ في المرتبة الأولىٰ، يليه التدبر المعبر عنه بالتأمل، ثم الاستنباط المعبر عنه بالتحديقِ والاستخراجِ والوقوفِ علىٰ الحِكم والأسرار.

٣- كانت ثمرات التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ متعلقة بالجانب الإيماني العقدي، وهو أهم الجوانب وأسماها، وأعلىٰ غايات التدبر وأغلاها.

٤- تنوعت آثار التدبر عند الشيخ السعدي بين الإثراء العلمي (تأملات ابتكارية، استنباطات، لطائف المعاني)، والانفعال الوجداني القلبي (تعجب، تأثر،...)، والسلوك العملي (الدعاء، الاستعاذة،..).

٥- تعددت مجالات التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وتراوحت بين المجالات الأسلوبية والمجالات الموضوعية.

٦- أسهب الشيخ السعدي في تدبر أسماء الله الحسنىٰ، وخاصة اسم الله (الرحمن).

٧- يستلهم الشيخ السعدي تدبراته من كتب التفاسير علىٰ اختلاف مشاربها، ويظهر تأثره بالشيخين الجليلين ابن تيمية وابن القيم -رحمهم الله جميعًا-.

التوصيات:

من خلال معايشتي لهذا البحث فإني أقدم جملة من المقترحات والتوصيات، وهي:

١- أن تجرىٰ مثل هذه الدراسة علىٰ كتب التفاسير المختلفة.

٢- أن تسخر فكرة هذا البحث لتكون نواة لمشاريع رسائل علمية بحثية، بحيث تطبق علىٰ كامل الكتاب، وتطبع وتثرىٰ بها المكتبة القرآنية.

ثبت المصادر والمراجع

١- أخلاق أهل القرآن. الآجري، أبو بكر، محمد بن الحسين بن عبد الله. تحقيق: محمد عمرو. ط:٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

٢- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم. محمد بن محمد بن مصطفىٰ. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٣- إعلام الموقِّعين عن رب العالمين. الجوزية، ابن قيم، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد حامد الفقي. د.ط، الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط:١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٦- البحر المحيط في التفسير، الأندلسي. أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٧- بدائع الفوائد. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

٨- البرهان في علوم القرآن. الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن عبد الله بن بهادر. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط:١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.

٩- التبيان في إعراب القرآن. العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله. تحقيق: علي محمد البجاوي. د.ط، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، د.ت.

١٠- تحرير المعنىٰ السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد. ابن عاشور،

محمد الطاهر. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١١- التسهيل لعلوم التنزيل. الكلبي الغرناطي، ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله. تحقيق: عبد الله الخالدي. ط:١، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ.

١٢- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط:٢، دار طيبة للنشر، ١٤٢٠هـ.

١٣- تفسير القرآن الكريم - الفاتحة والبقرة- العثيمين، محمد بن صالح. ط:١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.

١٤- تفسير القرآن الكريم -سورة آل عمران-. العثيمين، محمد بن صالح. ط:١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.

١٥- تفسير القرآن الكريم -سورة الفرقان-. العثيمين، محمد بن صالح. ط:١، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٦هـ.

١٦- تفسير القرآن الكريم -سورة القصص-. العثيمين، محمد بن صالح. ط:١، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٦هـ.

١٧- تفسير القرآن الكريم -سورة فصلت-. العثيمين، محمد بن صالح. ط:١، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٧ هـ.

١٨- تفسير القرآن الكريم -سورة يس-. العثيمين، محمد بن صالح. د.ط، دار الثريا، د.ت.

١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله التركي، ط:١، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ.

٢١- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، أبو بكر، محمد بن أحمد. تحقيق: أحمد البردوني،

وإبراهيم أطفيش. ط:٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.

٢٢- الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: مجموعة محققين. د.ط، د.ن، د.ت.

٢٣- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. د.ط، دار المعرفة، ١٤١٨هـ.

٢٤- الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. تحقيق: أحمد محمد الخراط. د.ط، دمشق: دار القلم، د.ت.

٢٥- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. ط:١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، جدة: مكتبة الخراز، ١٩٩٦م.

٢٦- دليل البلاغة القرآنية. الدبل، محمد بن سعد. ط:٢، د.ن، ١٤٣١هـ.

٢٧- الرد علىٰ المنطقيِّين. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

٢٨- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز. الرسعني، عبد الرازق بن رزق الله. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ط:١، مكة المكرمة: مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود بن عبد الله. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٣٠- الرُّوح في الكلام علىٰ أرواح الأموات والأحياء بالدَّلائل من الكتاب والسُّنة. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

٣١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

٣٢- زاد المعاد في هَدْي خير العباد. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط:٢٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٥هـ.

٣٣- الصواعق المرسَلة في الردِّ على الجهمية والمعطِّلة. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. الرياض: دار العاصمة، ط:١، ١٤٠٨هـ.

٣٤- طريق الهجرتين وباب السعادتين. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط:٢، القاهرة: دار السلفية، ١٣٩٤هـ.

٣٥- علل الوقوف. السجاوندي، أبو عبد الله، محمد بن طيفور. تحقيق: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي. ط:٢، مكتبة الرشد، ٢٠٠٦م.

٣٦- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن. الأنصاري، زين الدين، زكريا بن محمد بن أحمد. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط: ١، بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨٣م.

٣٧- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي. اعتنى به: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. ط:١، الجزائر: دار الفضيلة، ٢٠٠٩م.

٣٨- الفوائد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط:٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ.

٣٩- القواعد الحسان لتفسير القرآن. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. ط:١، الرياض: دار الرشد، ١٤٢٠هـ.

٤٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الزمخشري، محمود بن عمر. ط:٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٤١- مجموع الفتاوى. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار. ط:٣، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ.

٤٢- محاسن التأويل. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٤٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية، عبد الحق بن غالب. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٤٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط: ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ.

٤٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ. القشيري النيسابوري، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٤٦- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر. ط:٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٤٧- المكتفىٰ في الوقف والابتدا. الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر. تحقيق: محيي الدين رمضان. ط:١، عمان: دار عمار ٢٠٠١م.

٤٨- منار الهدىٰ في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، منار الهدىٰ. الأشموني، أحمد بن عبد الكريم. المقصد لتلخيص ما في المرشد. الأنصاري، زكريا بن محمد. تحقيق: شريف أبو العلا العدوي. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

٤٩- النشر في القراءات العشر. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. تحقيق: علي بن محمد الضباع. د.ط، المطبعة التجارية الكبرىٰ، د.ت.

٥٠- نظم الدرر في تناسُب الآيات والسُّور. البقاعي، إبراهيم بن عمر. د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

٥١- النُّكت والعيون. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب. تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

٥٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد. الواحدي، علي بن أحمد. تحقيق: مجموعة باحثين. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

References and Sources

1. The Ethics of the People of Qur'an, Al-Aajurrri, Abu Bakr, Muhammad bin Al-Husayn bin 'Abdillaah, Investigation: Muhammad 'Amr, 3rd ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 2003.

2. Irshaad Al-'Aql Al-Saleem Ilaa Mazaaya Al-Kitaab Al-Kareem, Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, N.E, Beirut, Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arabi, N.D.

3. I'laam Al-Muwaqqi'een 'an Rabb Al-'Aalameen, Al-Jawziyyah, Ibn Al-Qayyim, Muhammad bin Abi Bakr, Investigation: Muhammad Abdul Salaam Ibrahim, 1st ed., Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1411 AH.

4. Igaatha Al-Lahfaam min Masaayid Al-Shaytaan, Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, Investigation: Muhammad Haamid Al-Faqqi, N.E, Riyadh: Maktabah Al-Ma'aarif, N.D.

5. Anwaar Al-Tanzeel wa Asraar Al-Tahweel, Al-Baidaawi, 'Abdullaah bin'Umar bin Muhammad, Investigation: Muhammad 'Abdur Rahmaan Al-Mir'ashley, 1st ed., Beirut, Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arabi, 1418 AH.

6. Al-Bahr Al-Muheet fi Al-Tafseer, Al-Andaluusi, Abu Hayyaan, Muhammad bin Yusuf bin Hayyaan, Investigation: Sidqi Muhammad Jameel, N.E, Beirut, Daar Al-Fikr, 1420 AH.

7. Badaai' Al-Fawaaid, Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, N.E, Beirut, Daar Al-Kitaab.

8. Al-Burhaan fi 'Uluum Al-Fawaaid, Al-Zarkashi, Abu 'Abdullah, Badruddeen, Muhammad bin 'Abdillaah bin Bahaadir, Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 1st ed., Daar Ihyaa Al-Kutub Al-Arabiyyah, 1957.

9. Al-Tibyaan fi I'raab Al-Qur'aan, Al-Ukbari, 'Abdullaah bin Al-Husayn bin 'Abdillaah, Investigation: 'Ali Muhammad Al-Bujaawi, N.E, Isa Al-Baabi

Al-Halabi and co, N.D.

10. Tahreer Al-Ma'na Al-Sadeed, wa Tanweer Al-'Aql Al-Jadeed, min Tafseer Al-Kitaab Al-Majeed, Ibn 'Aashour, Muhammad Al-Taahir, N.E, Tunisia, Al-Daar Al-Tuneesiyyah for Publication, 1984.

11. Al-Tasheel li 'Uluum Al-Tanzeel, Al-Kalbi Al-Garnaati, Ibn Juzay Abu Al-Qaasim, Muhammad bin Ahamd bin Muhammad bin 'Abdillaah, Investigation: 'Abdullaah Al-Khaalidi, 1st ed., Beirut: Daar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam, 1416 AH.

12. Tafseer Al-Qur'an Al-'Adheem, Ibn Katheer, Isma'eel bin 'Umar, Investigation: Saami bin Muhammad Salaamah, 2nd ed., Daar Taibah for Publication, 1420 AH.

13. Tafseer Al-Qur'aan Al-Kareem – Al-Faatiha and Al-Baqorah, Muhammad bin Saalih, 1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Daar Ibn Al-Jawzi, 1423.

14. Tafseer Al-Qur'aan Al-Kareem –Surah Aal 'Imraan-, Muhammad bin Saalih, 1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Daar Ibn Al-Jawzi, 1426 AH.

15. Tafseer Al-Qur'aan Al-Kareem – Surah Al-Furqaan-, Muhammad bin Saalih, 1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Shaykh Muhammad bin Saalih Charitable Foundation, 1436 AH.

16. Tafseer Al-Qur'aan Al-Kareem –Surah Al-Qasas-, Muhammad bin Saalih, 1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Shaykh Muhammad bin Saalih Charitable Foundation, 1436 AH.

17. Tafseer Al-Qur'aan Al-Kareem – Surah Fusilat-, Muhammad bin Saalih, 1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Shaykh Muhammad bin Saalih Charitable Foundation, 1437 AH.

18. Tafseer Al-Qur'aan Al-Kareem – Surah Yaaseen-, Muhammad bin Saalih, N.E, Daar Al-Tharayya, N.D.

19. Tayseer Al-Kareem Al-Rahmaan fi Tafseer Kalaam Al-Mannaan, Al-Sa'di, 'Abdur Rahmaan bin Naasir, Investigation: 'Abdur Rahmaan bin Ma'alla Al-Luwayhiq, 1st ed., Muassasah Al-Risaalah, 1420 AH.

20. Jaami' Al-Bayaan 'an Tahweel Aay Al-Qur'aan, Al-Tabari, Muhammad bin Jareer, Investigation: 'Abdullaah Al-Turki, 1st ed., Daar Hajar for Printing and Publication, 1422 AH.

21. Al-Jaami' li Ahkaam Al-Qur'aan, Al-Qurtubi, Abu Bakr, Muhammad bin Ahamd, Investigation: Ahmad Al-Bardouni, and Ibrahim Utaifis, 2nd ed., Cairo: Daar Al-Kutub Al-Misriyyah, 1384 AH.

22. Al-Jawaab Al-Saheeh li Baddala Deen Al-Maseeh, Ibn Taimiyyah, Ahmad bin 'Abdil Haleem, Investigation: A group of investigators, N.E, N.P, N.D.

23. Al-Jawaab Al-Kaafi li man Sahala 'an Al-Dawaa Al-Shaafi, Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, N.E, Daar Al-Ma'rifah, 1418 AH.

24. Al-Durr Al-Masoun fi 'Uloum Al-Kitaab Al-Maknoun, Al-Sameen Al-Halabi, Ahmad bin Yusuf, Investigation: Ahmad Muhammad Al-Kharraat, N.P, Damascus, Daar Al-Qalam, N.D.

25. Daf' Eehaam Al-Idtriraab 'an Aayaat Al-Kitaab, Al-Shinqeeti, Muhammad Al-Ameen bin Muhammad Al-Mukhtaar, 1st ed., Cairo: Maktabah Ibn Taimiyyah, Jeddah, Maktabah Al-Khazaar, 1996.

26. A Guide to the Qur'anic Rhetorics, Al-Dabal/ Muhammad bin Sa'd, 2nd ed., N.P, 1431 AH.

27. A Refutation on the Logicians, Ibn Taimiyyah, Ahamd bin 'Abdil Haleem, N.E, Beirut: Daar Al-Ma'rifat, N.D.

28. Rumuuz Al-Kunuuzn fi Tafseer Al-Kitaab Al-'Azeez, Al-Ras'ani, 'Abdur Razaaz bin Rizqullaah, Investigation: 'Abdul Malik bin 'Abdillah bin Daheesh, 1st ed., Makkah: Maktabah Al-Asadi for Publication and Distribution, 2008.

29. Ruuh Al-Ma'aani fi Tafseer Al-Qur'aan Al-'Adheem wa Al-Sab' Al-Mathaani, Al-Aaluusi, Mahmuud bin 'Abdillaah, Investigation: 'Ali 'Abdul Baari 'Atiyyah, 1st ed., Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1415 AH.

30. Al-Ruuh fi Al-Kalaam 'alaa Arwaah Al-Amwaat wa Al-Ahyaa bi Al-Dalaail min Al-Kitaab wa Al-Sunnah, Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, N.E. Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, N.D.

31. Rawdah Al-Muhibbeen wa Nuzhah Al-Muhibeen Al-Mushtaaqeen, Ibn Al-Qayyim, N.E, Beirur, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1403 AH.

32. Zaad Al-Ma'aad fi Hady Khayr Al-'Ibaad, Muhammad bin Abi Bakr, 27th ed., Beirut, Muassasah Al-Risaalah, Kuwait: Maktabah Al-Manaar Al-Islaamiyyah, 1415 AH.

33. Al-Sawaa'iq Al-Mursalah fi Al-Radd 'alaa Al-Jahmiyyah wa Al-Mu'attilah, Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, Investigation: 'Ali bin Muhammad Al-Dakheelul Laah, Riyadh, Daar Al-'Aasimah, 1st ed., 1408 AH.

34. Tareeq Al-Hijratayn wa Baab Al-Sa'aadatayn, Ibn Al-Qayyim, Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, 2nd ed., Cairo: Daar Al-Salafiyyah, 1394 AH.

35. 'Ilal Al-Wuquuf, Al-Sajaawandi, Abu 'Abdillaah, Muhammad bin Tayfuur, Investigation: 2nd ed., Maktabah Al-Rushd, 2006.

36. Fath Al-Rahmaan bi Kashf maa Yaltabis fi Al-Qur'an, Al-Ansaari, Zaynuddeen, Zakariyyah bin Muhammad bin Ahmad, Investigation: Muhammad 'Ali Al-Saanbuuni, 1st ed., Beirut, Daar Al-Qur'aan Al-Kareem, 1983.

37. Fath Al-Raheem Al-Malik Al-'Allaam fi 'Ilm Al-'Aqaaid wa Al-Tawheed wa Al-Akhlaaq wa Al-Ahkaam Al-Mustanbatah min Al-Qur'aan, Al-Sa'di, 'Abdur Rahmaan bin Naasir, Al-Sa'di, Cared for by: 'Abdur Razaaq bin 'Abdil Muhsin Al-Badar, 1st ed., Algeria, Daar Al-Fadeelah, 2009.

38. Al-Fawaaid, Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, 2nd ed., Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1393 AH.

39. Al-Qawaa'id Al-Hisaan li Tafseer Al-Qur'aan, Al-Sa'adi, 'Abdur Rahmaan bin Naasir, 1st ed., Riyadh, Daae Al-Rushd, 1420 AH.

40. Al-Kashaaf 'an Haqaaiq Gawaamid Al-Tanzeel, Al-Zamakshari, Mahmuud bin'Umar, 3rd ed., Beirut: Daar Al-Kitaab Al-'Arabi, 1407 AH.

41. Majmuu Al-Fataawa, Ibn Taimiyyah, Ahmad bin 'Abdil Haleem, Investigation: Anwaar Al-Baaz and 'Aamir Al-Jarraar, 3rd ed., Daar Al-Wafaa, 1426 AH.

42. Mahaasin Al-Tahweel, Al-Qaasimi, Muhammad Jamaaluddeen bin

Muhammad Sa'eed, Investigation: Muhammad Baasil 'Uyoun Al-Suud, 1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1418 AH.

43. Al-Muharrar Al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitaab Al-'Azeez, Ibn 'Atiyyah, 'Abdul Haqq bin Gaalib, Investigation: 'Abdul Salaam 'Abdul Shaafi Muhammad, 1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1422 AH.

44. Madaarij Al-Saalikeen bayna Manaazil Iyyaaka Na'bud wa Iyyaaka Nasta'een, Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, Investigation: Muhammad Mu'tasim bil Laah Al-Bagdaadi, 3rd ed., Beirut, Daar Al-Kitaab Al-'Arabi, 1416 AH.

45. Al-Musna Al-Saheeh Al-Mukhtasar bi Naql Al-'Adl 'an Al-'Adk Ilaa Rasuulillaah –sallah Allaah 'alayhi wa sallam- Al-Qushayri Al-Naysaabuuri, Abu Al-Hassan, Muslim bin Al-Hajjaaj, Investigation: Muhammad Fuad 'Abdul Baaqi, N.E, Beirut: Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arabi, N.E, Beirut, Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arab, N.E.

46. Mafateeh Al-Gayb (Al-Tafseer Al-Kabeer), Al-Raazi, Fakhruddeen, Muhammad bin 'Umar, 3rd ed., Beirut: Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arabi, 1420 AH.

47. Al-Muktafi fi Al-Waqf wa Al-Ibtidaa, Al-Daani, Abu 'Amr, 'Uthmaan bin Sa'eed bin 'Uthmaan bin 'Umar, Investigation: Muhyiddeen Ramadaan, 1st ed., Amman: Daar 'Ammaar, 2001.

48. Manaar Al-Hudaa fi Bayaan Al-Waqf wa Al-Ibtidaa, with Al-Maqsad li Talkhees maa fi Al-Murshid, Manaar Al-Huda, Al-Ashmouni, Ahmad bin 'Abdil Kareem, Al-Maqsad li Talkhees maa fi Al-Murshid, Al-Ansaari, Zakariyyah bin Muhammad, Investigation: Shareef Abu Al-'Alaa Al-'Alawi, 1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 2002.

49. Al-Nashr fi Al-Qiraa'aat Al-'Ashr, Ibn Al-Jazari, Muhammad bin Muhammad bin Yusuf, Investigation: 'Ali bin Muhammad Al-Dabaa', N.E, Al-Matba'a Al-Tijaariyyah Al-Kuram N.D.

50. Nuzum Al-Durar fi Tanaasub Al-Aayaat wa Al-Suwar, Al-Biqaa'I, Ibrahim bin 'Umar, N.E, Cairo: Daar Al-Kutub Islaami, N.D.

51. Al-Nukat wa Al-‘Uyoun, Al-Maawardi, ‘Ali bin Muhammad bin Habeeb, Investigation: Al-Seyyid bin ‘Abdil Maqsoud bin ‘Abdir Raheem, N.E, Beirut, Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, N.D.

52. Al-Waseet fi Tafseer Al-Qur’aan Al-Majeed, Al-Waahidi, ‘Ali bin Ahmad, Investigation: A group of investigators, 1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, 1415 AH.

فهرس الموضوعات

المستخلص ٢٧

المقدمة ٣١

التمهيد ٤١

المطلب الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ٤١

المطلب الثاني: العلاقة بين مفهوم التدبر والمصطلحات القريبة منه؛ كمصطلح: (التأويل، والتفسير، والاستنباط، والتأمل، والتفكر، والتعقل) عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. ٤٢

المطلب الثالث: كيفية تدبر القرآن الكريم وشروطه؛ كما قررها الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. ٤٥

المطلب الرابع: ثمرات التدبر وفوائده كما يراها الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. .. ٤٧

الفصل الأول: مجالات التدبر الأسلوبية. ٥٠

المبحث الأول: أساليب بناء ألفاظ الآيات القرآنية. ٥٠

المطلب الأول: دقة اختيار الألفاظ. ٥٠

المطلب الثاني: قوة دلالة اللفظ على المعنى. ٥١

المطلب الثالث: الأوزان الصرفية. ٥٣

المبحث الثاني: أساليب بناء تراكيب الآيات القرآنية ٥٤
المطلب الأول: الصياغة. ٥٤
المطلب الثاني: معاني حروف الجر. ٥٥
المطلب الثالث: الجمل المعترضة. ٥٦
المبحث الثالث: أساليب بيان الآيات القرآنية ٥٨
المطلب الأول: أسلوب النهي..... ٥٨
المطلب الثاني: أسلوب الاحتراز ٥٩
المطلب الثالث: أسلوب التنكير..... ٦٠
المطلب الرابع: أسلوب الحذف..... ٦١
المطلب الخامس: أسلوب الاكتفاء..... ٦٣
المطلب السادس: أسلوب التكرار. ٦٤
المطلب السابع: أسلوب البناء للمفعول. ٦٧
المطلب الثامن: أسلوب الاستفهام. ٦٧
المطلب التاسع: أسلوب الالتفات..... ٦٨
المطلب العاشر: أسلوب الإغراء..... ٦٨
المطلب الحادي عشر: أسلوب التعريف والتنكير..... ٦٩
المطلب الثاني عشر: أسلوب استعمال الظاهر في مقام المضمر..... ٧٠

المبحث الرابع: أساليب القرآن في رد الشبهات وتفنيد مزاعم المشركين ... ٧٢

المطلب الأول: أسلوب التسلسل المنطقي. ٧٢

المطلب الثاني: أسلوب الحجة المنطقية العقلية..... ٧٣

المطلب الثالث: أسلوب التقسيم المنطقي..... ٧٤

المبحث الخامس: المضامين التربوية لأساليب الآيات القرآنية. ٧٥

المطلب الأول: النموذج الأول: مراعاة الأسلوب المناسب لحال المدعو. ٧٥

المطلب الثاني: النموذج الثاني: التأني في طلب العلم..... ٧٦

المطلب الثالث: النموذج الثالث: التأدب مع الضيفان. ٧٧

الفصل الثاني: مجالات التدبر الموضوعية ٧٨

المبحث الأول: أقسام القرآن ٧٨

المبحث الثاني: الخطاب القرآني ٨١

المبحث الثالث: المتشابه اللفظي..... ٨٦

المبحث الرابع: مشاهد القيامة..... ٨٨

المبحث الخامس: الأدعية القرآنية..... ٨٩

المبحث السادس: أسماء الله الحسنىٰ..... ٩٠

المطلب الأول: نماذج من تدبرات الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لأسماء الله

الحسنىٰ..... ٩٠
المطلب الثاني: اختلاف تدبر الاسم الحسن لاختلاف سياق الآية الوارد فيها..... ٩٤
المطلب الثالث: احتفاء الشيخ (عبد الرحمن) باسم الله (الرحمن)..... ٩٥
المبحث السادس: آيات الأحكام..... ٩٨
المطلب الأول: الأحكام الفقهية..... ٩٨
المطلب الثاني: الأحكام العقدية..... ٩٩
المبحث السابع: أمثال القرآن..... ١٠١
المبحث الثامن: القصة القرآنية..... ١٠٤
المبحث التاسع: مشكل القرآن..... ١٠٨
المبحث العاشر: المناسبات القرآنية..... ١٠٩
المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للآيات..... ١٠٩
المطلب الثاني: الآيات الكونية ودلائل قدرة الله ﷻ..... ١١٠
المطلب الثالث: السياق..... ١١١
المطلب الرابع: التقديم والتأخير..... ١١٤
المطلب الخامس: العطف..... ١١٥
المطلب السادس: التسلسل المنطقي في عرض المعلومة..... ١٢٠

المطلب السابع: الوحدة الموضوعية للسورة. ١٢٠
المطلب الثامن: الاقتران. ١٢٢
المبحث الحادي عشر: دلالات الآيات ١٢٣
المطلب الأول: نموذج استنباط بدلالة السياق. ١٢٣
المطلب الثاني: نموذج استنباط بدلالة الاقتران. ١٢٤
المطلب الثالث: نموذج استنباط بدلالة العطف..... ١٢٥
المبحث الثاني عشر: الآيات ذات الأوصاف والمسميات. ١٢٦
المطلب الأول: النموذج الأول: أعظم وعيد ورد في الذنوب. ١٢٦
المطلب الثاني: النموذج الثاني: أصل في محاسبة العبد نفسه. ١٢٧
الخاتمة..... ١٢٨
ثبت المصادر والمراجع..... ١٣٠
رومنة المصادر والمراجع ١٣٥
فهرس الموضوعات ١٤١

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (13) Year 7/ Muharam1444 AH, corresponding to August 2022

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **Contemplation Areas of The Holy Quran According to Sheikh Al-Saadi –May Allah rest his soul- Through His Book «Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the Interpretation of the Words of Al-Mannan» Applied Analytical Study**
  Dr. Bahaa Al-Deen Adel Arafat Dandis
- **(The connotations of the Quranic cosmic verses through Ibn Ashour›s interpretation of Liberation and Enlightenment: Surat al-Mofassal as a model)**
  Mr. SALAMA ABDENNASSER
- **The method of agitation and inflammation in the Holy Qur'an**
  Dr. Abdul Rahman bin Sanad bin Rashid Al-Ruhaili
- **Man from creation to resurrection; Reflections on Surat Al-Insan**
  Mr. Ahmed Mohamed elshwemy
- **Mullah in the Holy Quran Objective study**
  Mr. AGUERT MOHAMMED
- **The Prophet›s Companions› Citation of Quranic Verses from Surat Al-Fatiha to the end of Surat Al-An›am .. Collection and Study**
  Dr. Sulayman Muhammad Camara
- **Report about Imam Al-Shatibit Institute for the Holy Quran and Its Sciences**

25 SR
1658-7642